تأملات
في سورة القيامة
دراسة تحليلية

الدكتور

محمود متولى حسين الميهي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص البحث

إن القرآن الكريم نور الله في خلقه وسر هدايته لعباده ، وهذا البيان الساطع والنور المبين تحدى به رب العالمين الخلق أجمعين وما زال التحدي به قائم إلى يوم القيامة، وقد أخبرنا فيه رب العالمين بأمور غيبية وجعل الإيمان بها أحد أركان الإيمان ومن هذه الغيبيات يوم القيامة ، وقد وردت كلمة القيامة في القرآن سبعين مرة في سبعين موضع فضلا عن ورودها بأسمائها الأخرى كالساعة ويوم الفصل ويوم التناد وغير ذلك من أسمائها التي تكررت كثيرا في القرآن للتذكرة بها والاستعداد لها ، وقد أقسم الله جل جلاله بهذا اليوم وبيَن أنه واقع لامحالة وفيه توفى كل نفس ما عملت وقبل وقوعه ستحدث أمور عظيمة كخسف القمر وجمع الشمس والقمر وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله .

لذا استخرت الله– عز وجل– واخترت سورة عنيت بهذا الأمر ووسمت الموضوع بـــ (تأملات في سورة القيامة –دراسة تحليلية) أسأل الله بكرمه وجوده أن يوفقني في هذا البحث، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به ويتقبله بقبول حسن، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

الدكتور

محمود متولى حسين الميهي

Research Summary

The Holy Quran is the light of God in His creation and the mystery of His guidance to His servants. This clear statement and the light shown are challenged by the Lord of the worlds, all creatures, and the challenge is still present to the Day of Judgment. The Lord of the Worlds has told us about metaphysical matters, The word "resurrection" was mentioned in the Qur'an seventy times in seventy places, as well as other names such as the hour, the day of separation, the day of birth, and other names that were repeated frequently in the Qur'an to remind them of it and prepare for it. Allaah has sworn that this is a reality, What worked before it happened There will be great things, such as the blowing of the moon, the gathering of the sun, the moon, and other things that only God knows.

So I took refuge in God - the Almighty - and chose Surah I meant this and the subject was moderated by (Reflections in the Resurrection - analytical study) I ask God's generosity and existence to help me in this research, and make him sincere to his face, and to benefit and accept it with good acceptance, And capable of it.

Dr.
Mahmoud Metwally Hussein Al Mehy

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

الكهف : ١١٠

مقدمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا. قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾(الكهف ١-٣).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، المتفرد بالجلال والكمال والمتفرد بتصريف الأحوال، رب الأرباب ومسبب الأسباب، وخالق الخلق من تراب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلِّم على هذا النبي الكريم، وآله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين ومن تبعهم بإحسان من الغر المحجلين. أما بعد..

فإن القرآن الكريم نور الله في خلقه وسر هدايته لعباده، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٢-٥٣). وهو الكتاب العزيز الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)، أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، هدى به من الضلالة وأنقذ به من الجهالة، ومن رحمته سهل على عباده المؤمنين -مع إعجازه- تلاوته، ويسَّر على الألسن قراءته، وتكفل بحفظه لطفاً بعباده فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ﴾ وأمر بالوقوف على أسراره وتدبر معانيه وأخباره فقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَمُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (إبراهيم: ١)،

وهذا البيان الساطع والنور المبين تحدى به رب العالمين الخلق أجمعين وما زال التحدي به قائم إلى يوم القيامة، وقد أخبرنا فيه رب العالمين بأمور غيبية وجعل الإيمان بها أحد أركان الإيمان ومن هذه الغيبيات يوم القيامة ، وقد وردت كلمة القيامة في القرآن سبعين مرة في سبعين موضع فضلا عن ورودها بأسمائها الأخرى كالساعة ويوم الفصل ويوم التناد وغير ذلك من أسمائها التي تكررت كثيرا في القرآن للتذكرة بها والاستعداد لها ، وقد أقسم الله جل جلاله بهذا اليوم وبيَن أنه واقع لامحالة وفيه توفى كل نفس ما عملت وقبل وقوعه ستحدث أمور عظيمة كخسف القمر وجمع الشمس والقمر وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله .

لذا استخرت الله– عز وجل– واخترت سورة عنيت بهذا الأمر ووسمت الموضوع بـــ (تأملات في سورة القيامة –دراسة تحليلية) أسأل الله بكرمه وجوده أن يوفقني في هذا البحث، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به ويتقبله بقبول حسن، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

← وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة مباحث ، وخاتمة.

← أما المقدمة: فقد تناولت فيها الحديث عن بعض صفات القرآن الكريم ، وفضل تدبره ، وأهداف البحث، ومنهجه وخطته.

← أهداف البحث: لهذا البحث أغراض وأهداف كثيرة منها:

١– بيان مدى إعجاز القرآن الكريم وأنه لا يزال غضا طريا ومعينا ينهل منه كل من أراد المعايشة مع كتاب الله تعالى

٢- إثبات يوم القيامة وأنه حق لاريب فيه والرد على منكري البعث واليوم الآخر.

٣- بيان آداب تلقى القرآن الكريم ، وإثبات أنه تنزيل من حكيم حميد.

٤- التخويف والترهيب للعصاة المكذبين والبشارة للمؤمنين الطائعين.

٥- إثبات قدرة الله – عزوجل- على الخلق والإفناء والإعادة للحساب والجزاء.

←**منهج البحث والدراسة**:

يتمثل منهجي في هذا البحث على النحو التالي:-

أولاً:- أذكر مجموعة من الآيات وثيقة الصلة بموضوع معين ، ووضع عنوان يناسب تلك الآيات.

ثانياً:- بيان مناسبة هذه الآيات لما قبلها .

ثالثاً:-:- بيان المباحث العربية من لغة ، وإعراب ، وبلاغة.

رابعاً:- بيان القراءات الواردة في الآيات مع توثيقها من الكتب المعتمدة.

خامساً:- الشرح والتوضيح للآيات قدر استطاعتي.

سادساً:- بيان المعنى الإجمالي للآيات.

سابعاً:- خرجت الأحاديث الواردة في البحث ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفى بهما ، وإن لم يكن فيهما خرّجت الحديث من مظانه مع بيان حكم العلماء عليه.

ثامناً:- توضيح المفردات الغريبة الواردة بالبحث.

تاسعاً:- تذييل البحث بفهرس المراجع ، والفهرس العام للموضوعات.

←**خطة البحث والدراسة**

اقتضت خطة البحث أن أقسمه إلى خمسة مباحث جاءت على النحو التالى:-

المبحث الأول:- القسم بيوم القيامة وبيان بعض أهوالها.

المبحث الثاني:- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بضبط القرآن وحفظه.

المبحث الثالث:-انقسام الناس في الآخرة لفريقين سعداء وأشقياء.

المبحث الرابع:- حال المرء وقت الاحتضار وما يلقاه من الشدائد.

المبحث الخامس:- إثبات البعث وتقريره بالأدلة والبراهين.

← وأما **التمهيد**:- ففيه التعريف بالسورة الكريمة ، ويتضمن ما يلى:-

أولاً:- نوع السورة.

ثانياً:- أسماء السورة وسبب التسمية.

ثالثاً: عدد آيات السورة، وعدد كلماتها وحروفها.

رابعاً: ترتيبها في المصحف والنزول.

خامساً: مناسبتها لما قبلها .

سادساً: ما ورد في فضلها.

سابعاً: أغراض السورة وما اختصت به.

← وأخيرا **الخاتمة** – نسأل الله حسنها –

وبعد فهذه نبذة موجزة وإطلالة سريعة على أهم ما تضمنه هذا البحث، والله أسأل أن يَمُنَّ على بالتوفيق ، وأن يشرح لي صدري ، و ييسر لي أمرى ويهديني سواء السبيل فإنه لا هداية إلا بنوره ، ولا توفيق إلا بتدبيره ، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي ، وأن يتجاوز عن زلاتي ، وأن يُقيل عثراتي ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د/ محمود متولى الميهي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

التمهيد

ويشتمل على ما يلى:-

أولاً: نوع السورة

اختلف العلماء في بعض السور هل هي مكية أو مدنية أما سورة القيامة فلم يحدث فيها خلاف فهي مكية بالاتفاق ولم ينزل شيء منها بالمدينة فهي مكية بلا خلاف ولا استثناء.

أخرج ابن الضريس والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة القيامة، وفي لفظ: نزلت "لا أقسم بيوم القيامة" بمكة(١).

قال ابن عطية-رحمه الله- وهى مكية بإجماع من المفسرين وأهل التأويل.

وقال الإمام الآلوسي: وهي مكية من غير حكاية خلاف ولا استثناء.

وقال الطاهر ابن عاشور: وهي مكية بالاتفاق(٢).

وذكر الشيخ سيد طنطاوي أن سورة « القيامة » من السور المكية الخالصة ، وتعتبر من السور التي كان نزولها في أوائل العهد المكي(٣).

---

(١) فضائل القرآن ٢١/١، دلائل النبوة ١٤٢/٧، وينظر:الدرالمنثور١٥/ ٩٥، وقال السيوطي في الإتقانعن حديث ابن عباس هكذا أخرجه بطوله وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين٣٧/١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤٠١/٥، روح المعانى١٥٠/١٥، التحرير والتنوير ٣١٢/٢٩. وحكى الإجماع أيضا ابن الجوز ي في زاد المسير ٤١٥/٨.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٩٥/١٥.

ثانياً: أسماء السورة وسبب التسمية:

"سورة القيامة "

تكاد تتفق كلمة جمهور المفسرين أن اسم هذه السورة "سورة القيامة"

قال ابن عاشور- رحمه الله- وقد عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة ب"سورة القيامة" لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور(١). وذكر الإمام الآلوسي وسبقه لذلك الإمام السخاوى أن لها اسماً آخر وهو " لا أقسم"

قال الآلوسي: سورة القيامة ويقال لها "سورة لا أقسم"، وقال الإمام السخاوى سورة (لا أقسم) وتسمّى سورة القيامة(٢) ولم يذكرها صاحب الإتقان في عداد السور ذات أكثر من اسم،

وقال صاحب البصائر سمّيت سورة القيامة، لمفتتحها، ولقوله: {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ}(٣)

ثالثاً: عدد آيات السورة، وعدد كلماتها وحروفها

عدد آيات هذه السورة الكريمة أربعون آية في عَدِّ الكوفيين وأهل حمص وتسع وثلاثون عند الباقين ، وسبب الخلاف في العدد أن الكوفيين وأهل حمص وقفوا على قوله {لِتَعْجَلَ بِهِ}وعدوها آية، أما الباقين فوصلوا قوله تعالى{لِتَعْجَلَ بِهِ} بما بعده وعدوها آية واحدة.

---

(١) التحرير والتنوير ٣١٢/٢٩،

(٢) جمال القراء للسخاوى ٢٠١/١، روح المعاني ١٥٠/١٥،

(٣) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ١٥٥/١، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٣٣٣/١.

قال الإمام الداني–رحمه الله– وهي أربعون آية في الكوفي وتسع وثلاثون في عد الباقين اختلافها آية لتعجل به عدها الكوفي ولم يعدها الباقون(١).

قال الفيروزآبادي : وآياتها أَربعون في عدّ الكوفيّين، وتسع وثلاثون فى عدّ الباقين. المختلف فيها آية: {لِتَعْجَلَ بِهِ}(٢).

وقال صاحب غيث النفع: مكية وآيها تسع وثلاثون في غير الحمصي والكوفي وأربعون فيهما(٣).

*أما عدد كلماتها وحروفها فقد ذكر العلماء أن:

←كلمها مئة وتسع وتسعون كلمة

←وحروفها ست مئة واثنان وخمسون حرفا(٤).

---

(١) البيان في عد آى القرآن لأبى عمرو الدانى ٢٥٩/١.

(٢) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣٣٣/١، تفسير الآلوسي ١٥٠/١٥.

(٣) غيث النفع في القراءات السبع لأبي الحسن على بن محمد الصفاقسي ٦٠٨/١، إتحاف فضلاء البشر ٥٦٣/١، وقد ذكر العلامة الداني– رحمه الله– اختلاف الأعداد تحت عنوان: باب ذكر الأعداد وإلى من تنسب من أئمة الأمصار ومن رواها عنهم:– اعلم أيدك الله بتوفيقه أن الأعداد التي يتداولها الناس بالنقل ويعدون بها في الآفاق قديما وحديثا ستة عدد أهل المدينة الأول والأخير وعدد أهل مكة وعدد أهل الكوفة وعدد أهل البصرة وعدد أهل الشام .... ثم قال ولأهل حمص عدد سابع كانوا يعدون به قديما وافقوا في بعضه أهل دمشق وخالفوهم في بعضه وأوقفته جماعتهم على خالد بن معدان رحمه الله وهو من كبار تابعي الشاميين البيان في عد آي القرآن للداني ٦٧/١، ٧٠/١.

(٤) ينظر: البيان لأبى عمرو الداني ٢٥٩/١، تفسير الثعلبي ٨١/١٠، تفسير الخازن ٣٦٩/٤، السراج المنير ٣١٩/٤، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١/ ٥١١٩، أما ما ذكره صاحب بصائر ذوى التمييز ٣٣٣/١ وصاحب غرائب القرآن ٣٩٨/٦ وصاحب التفسير القرآني ١٣١١/١٥ أن عدد حروفها ثلاثمائة واثنان وخمسون حرفًا لعله خطأ من الناسخ أو الطابع لأنه مخالف لواقع السورة.

رابعاً: ترتيبها في المصحف والنزول

←ترتيبها في المصحف والنزول: هي السورة الخامسة والسبعون بعد سورة المدثر وقبل سورة الإنسان أما النزول فقد نزلت بعد سورة (القارعة) وقبل سورة (الهمزة)، وإلى ترتيب النزول أشار البرهان الجعبري في قصيدته تقريب المأمول في ترتيب النزول بقوله:-

قدر وشمس والبروج وتينها ∴ لإيلاف قارعة قيامة أقبلا

ويل لكل المرسلات وقاف مع ∴ بلد وطارقها مع اقتربت كلا[1]

قال الشيخ سيد طنطاوي- رحمه الله- سورة « القيامة » من السور المكية الخالصة ، وتعتبر من السور التي كان نزولها في أوائل العهد المكي، فهي السورة الحادية والثلاثون في ترتيب النزول ، وكان نزولها بعد سورة (القارعة) وقبل سورة (الهمزة). أما ترتيبها في المصحف فهي السورة الخامسة والسبعون[2].

خامساً: مناسبتها لما قبلها

أما عن مناسبة سورة القيامة لسورة المدثر فواضحة جلية لأن الله- عزوجل- ذكر في أول سورة المدثر الحديث عن يوم القيامة وشدته على الكافرين في قوله" فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ. فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ"(المدثر٨-١٠) وختم السورة ببيان أن سبب دخولهم سقر أنهم كانوا لا يطيعون الله في أوامره ويكذبون بيوم الدين ولا يخافون

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٧٨/١.
(٢) التفسير الوسيط ١٩٥/١٥، وينظر في ترتيب النزول البيان للداني ١٣٦/١، فضائل القرآن لابن الضريس ٢١/١، البرهان للزركشي ١٩٣/١، الإتقان للسيوطي ٣٧/١، بصائر ذوى التمييز ٦٦/١، تفسير الكشاف ٦٥٧/٤.

الآخرة وما فيها، فافتتح الله عزوجل سورة القيامة بالتأكيد والتقرير لهذا اليوم الذى استبعدوه وكذبوا به وبيَّن بعض مشاهده وأهواله وحال الإنسان في هذا اليوم العصيب.

وقد ذكر الإمام البقاعي المناسبة بين السورتين فقال:

لما ذكر سبحانه الآخرة أول سورة المدثر وخوَّف منها بالتعبير بالناقور وما تبعه، ثم أعاد أمرها آخرها، وذكر التقوى التي هي أعظم أسباب النجاح فيها والمغفرة التي هي الدواء الأعظم لها، وكان الكفار يكذبون بها ، وكان سبحانه قد أقام عليها من الأدلة من أول القرآن إلى هنا تارة مع الإقسام وأخرى مع الخلو عنه ما صيرها في حد البديهيات ، وكانت العادة قاضية بأن المخبر إذا كذبه السامع حلف على ما أخبره به ، وكان الإقسام مع تحقق العناد لا يفيد ، أشار سبحانه وتعالى إلى أن الأمر قد صار غنياً عن الإقسام لما له من الظهور الذي لا ينكره إلا معاند ، فقال مشيراً إلى تعظيمها والتهويل في أمرها بذكرها وإثبات أمرها بعدم الإقسام أو تأكيده[١].

وقال الإمام السيوطي مبيناً صلة سورة القيامة بالمدثر:

ولما قال سبحانه وتعالى في آخر المدثر كَلَّا بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ [المدثر : ٥٣] بعد ذكر الجنة والنار وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث ذكر في هذه السورة الدليل علي البعث، ووصف يوم القيامة وأهواله وأحواله ثم ذكرما قبل ذلك من مبدأ الخلق، فذكرت الأحوال في هذه السورة على عكس ما هي في الواقع[٢].

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعى ٢٤٢/٨.
(٢) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور للسيوطى صـ ١٣٠، تفسير الآلوسى ١٥٠/١٥، تفسير المراغى ١٤٤/٢٩.

سادساً ما ورد في فضلها:

←لم يرد في فضل سورة القيامة شيء مخصوص سوى أنها من المفصل[١] الذى فُضِّل به رسول الله ﷺ فعن واثلة بن الأسقع[٢]. أن النبي صلّى اللّه عليه وسلم قال «أُعْطِيتُ السَّبْعَ الطُّولَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، وَأُعْطِيتُ الْمَثَانِيَ مَكَانَ الإِنْجِيلِ، وَأُعْطِيتُ الْمِئِينَ مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفُضِّلْتَ بِالْمُفَصَّلِ»[٣].

←وهى أيضا من قرائن المفصل التي كان الرسول ﷺ يقرأ بها في الصلاة كما روى أن ابن مسعود- رضى الله عنه- أَتَاه رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي أَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ.فَقَالَ أَهَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ[٤] وَنَثْرًا كَنَثْرِ الدَّقَلِ[٥]لَكِنَّ النَّبِيّ -

---

(١) سمّي المفصل بذلك لكثرة انفصال بعضه من بعض، أو لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة ويسمّى المفصل- أيضا-: المحكم، لقلة المنسوخ فيه الإتقان ١٧٤/١ وقال السخاوى لأنّه لم ينسخ منه شيء. جمال القراء ١٨٦/١وعبارة السيوطى في الإتقان والزركشى في البرهان ٢٤٥/١ أولى وأصح من عبارة السخاوى لوقوع النسخ في بعض سور المفصل.

(٢) هو: واثلة بن الأسقع الكناني الليثي. وقيل: واثلة بن عبد اله بن الأسقع، كنيته أبو شداد، وقيل: أبو الأسقعأسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك، وشهد تبوك وفتح دمشق،وتوفي سنة ثلاث وثماتين، وهو ابن مائة وخمس وسنين،له ترجمة في أسد الغابة ١٠٠/٣.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١٠٧/٤ وقال محققه إسناده حسن، والطبرانى في المعجم الكبير ٤٥١/١٥، والبيهقى في الدلائل ٤٧٥/٥، وفى شعب الإيمان ٧١/٤،

(٤) الهذ: بفتح الهاء وبالذال المعجمة المشددة سرعة القراءة وإنما عاب عليه ذلك لأنه إذا أسرع القراءة ولم يرتلها فاته فهم القرآن وإدراك معانيه. معالم السنن للخطابى ٢٨٣/١ ، لسان العرب٥١٧/٣.

(٥) الدَّقَلُ: بفتح الدال والقاف رَدِيءُ التَّمْرِ وَيَابِسُهُ وَمَا لَيْسَ لَهُ اِسْم خَاصٌّ فَتَرَاهُ لِيُبْسِهِ وَرَدَاءَتِهِ لَا يَجْتَمِعُ وَيَكُونُ مَنْثُورًا. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٩٩/٢، عون المعبود شرح سنن أبى داوود٢٧٣/٤

صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ[١] السُّورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ الرَّحْمَنَ وَالنَّجْمَ فِي رَكْعَةٍ وَاقْتَرَبَتْ وَالْحَاقَّةَ فِي رَكْعَةٍ وَالطُّورَ وَالذَّارِيَاتِ فِي رَكْعَةٍ وَإِذَا وَقَعَتْ وَنَ فِي رَكْعَةٍ وَسَأَلَ سَائِلٌ وَالنَّازِعَاتِ فِي رَكْعَةٍ وَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ وَعَبَسَ فِي رَكْعَةٍ وَالْمُدَّثِّرَ وَالْمُزَّمِّلَ فِي رَكْعَةٍ وَهَلْ أَتَى وَلاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي رَكْعَةٍ. وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَالْمُرْسَلاَتِ فِي رَكْعَةٍ وَالدُّخَانَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ فِي رَكْعَةٍ.»[٢]

←ومن فضائلها أيضا ما ذكره الطبري بسنده عن قتادة قال : حدثنا أن عمر بن الخطاب قال: من سأل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة[٣].

سابعاً: أغراض السورة وما اختصت به:-

أولا: أغراضها

سورة « القيامة » من السور المكية الخالصة ، وقد عنيت هذه السورة كغيرها من السور المكية بأحد أصول الدين والإيمان وهو إثبات البعث والجزاء، وما سبقه من مقدمات الموت وبدء الخلق، وتشتمل السورة على:-

---

(١) قال ابن حجر- رحمه الله- النظائر أي السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص لا المتماثلة في عدد الآى لما سيظهر عند تعيينها قال المحب الطبري كنت أظن أن المراد أنها متساوية في العد حتى اعتبرتها فلم أجد فيها شيئا متساويا. فتح البارى شرح صحيح البخارى٢/٢٥٩.

(٢) الحديث أخرج بعضه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين / باب تَرْتِيلِ الْقِرَاءَةِ وَاجْتِنَابِ الْهَذِّ ٢/٢٠٥/١٩٤٩، وأبو داوود في سننه كتاب الصلاة/ باب تحزيب القرآن ج٢/ص٥٤٣/ حديث رقم١٣٩٦، واللفظ له، والنسائي في سننه كتاب صفة الصلاة/ باب قراءة سورتين في ركعة ج٢/ص١٧٥/حديث رقم١٠٠٥.

(٣) جامع البيان ٢٤/٥٤، المحرر الوجيز ٥/٤٠١.

١- إثبات البعث.

٢- التذكير بيوم القيامة وذكر أشراطه.

٣- إثبات الجزاء على الأعمال التي عملها الناس في الدنيا.

٤- اختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء وتكريم أهل السعادة.

٥- التذكير بالموت وأنه أول مراحل الآخرة.

٦- الزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم الآخرة.

يقول العلامة الفيروز آبادي-رحمه الله:

مقصود السّورة: بيان هَوْل القيامة، وهيبتها، وبيان إِثبات البعث، وتأْثير القيامة فِي أَعيان العالم، وبيان جزاء الأَعمال، وآداب سماع الوَحْى، والوعد باللِّقاءِ والرّؤية، والخبر عن حال السَّكرة، والرّجوع إِلى بيان برهان القيامة، وتقرير القُدْرة على بعث الأَموات في قوله: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى}(١).

وقد اختصت سورة القيامة بعدة أمور أهمها:

١- القسم بيوم القيامة تأكيدا لوقوعه وتعظيما لشأنه قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: افتتاح السورة بالقسم مؤذن بأن ما سيذكر بعده أمر مهم لتستشرف له نفس السامع كما تقدم في عدة مواضع من أقسام القرآن.

وكون القسم بيوم القيامة براعة استهلال لأن غرض السورة وصف يوم القيامة.

---

(١) ينظر: بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى٣٣٣/١. التحرير والتنوير ٣١٢/٢٩.

وفيه أيضا كون المقسم به هو المقسم على أحواله تنبيها على زيادة مكانته عند المقسم[١]

٢- القسم بالنفس اللوامة ووجه القسم بها التنويه بشرفها قال الحسن البصري- رحمه الله-{ولا أقسم بالنفس اللوامة} إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي ما أردت بأكلتي ما أردت بحديثي نفسي ولا أراه إلا يعاتبها وإن الفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه[٢]. وقال الفخر الرازى القسم وقع بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث إنها أبداً تستحقر فعلها وجدها واجتهادها في طاعة الله[٣]. قال القاشانيّ : جمع بين القيامة والنفس اللوامة ، في القسم بهما ، تعظيماً لشأنهما، وتناسباً بينهما ؛ إذ النفس اللوامة هي المصدقة بها ، المقرة بوقوعها المهيئة لأسبابها ، لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير ، والتقاعد عن الخيرات ، وإن أحسنت ، لحرصها على الزيادة في الخير، وأعمال البر، تيقناً بالجزاء ، فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسياناً[٤].

٣- الحديث عن تسوية البنان فبعد إقسام الله عز وجل بيوم القيامة والنفس اللوامة رد على منكري البعث وأكد أنه قادر على ما هو أعظم من جمع العظام وهو "تسوية البنان نقدر على أن نجمع بعضها إلى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الأعضاء، فنبه سبحانه بالبنان، وهي الأصابع على بقية الأعضاء وأن الاقتدار على بعثها وإرجاعها

(١) التحرير والتنوير٢٩/٣١٣
(٢) ينظر: تفسير البغوى ٨/٢٨٠، تفسير ابن كثير٨/٢٧٥، الدر المنثور ٨/٢٧٥.
(٣) مفاتيح الغيب٣٠/١٩١
(٤) ينظر: روح البيان لإسماعيل حقى ١٠/١٨٩، تفسير القاسمى ١٦/٥٩٨٨.

كما كانت أولى في القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظفار والعروق اللطاف والعظام الدقاق فهذا وجه تخصيصها بالذكر(١).

٤- بيان آداب تلقى القرآن وتلاوته فقد كان النبى صلّى اللّه عليه وسلم لشدة حرصه على القرآن الكريم يُجْهِد نفسه ويردد ما يسمع خشية أن يتفلت منه شئ فأرشده الله إلى ترك ذلك لتكفله سبحانه بجمعه وبيانه كما تكفل بحفظه ووجه اختصاص السورة بذلك ما حدث من النبى صلّى اللّه عليه وسلم أثناء نزولها فاقتضى ذلك نزول التوجيه الرباني بحسن الاستماع والإنصات قال ابن عاشور- رحمه الله-"فالنهى عن تحريك لسانه نهى رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة(٢).

٥- النص على رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى وقد وردت نصوص أخري في القرآن الكريم لكنها محتملة ولا توجد آية في القرآن تدل على الرؤية أصرح من هذه الآية " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" (القيامة ٢٢-٢٣) فالنظر ورد متعديا إلى مفعوله بإلى فيكون معناه الرؤية بالاتفاق وذكر هنا لبيان الحال التى وصل إليها المؤمنون من النعيم في مقابلة حال المشركين المكذبين يوم القيامة.

٦- الحديث عن التفاف ساقى الميت عند الاحتضار المذكور في قوله تعالى " والتفت الساق بالساق" ووجه الاختصاص فيه وروده في سياق وصف أحوال المحتضر وأهوال الاحتضار والكناية به عن اشتداد الخطب وهول الموقف.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبى الطيب محمد صديق خان١٤/ ٤٣٦.

(٢) التحرير والتنوير٢٩/٣٢٤

المبحث الأول

القسم بيوم القيامة وبيان بعض أهوالها

{لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)} القيامة (١-١٥)وفيه مطالب:-

المطلب الأول سبب النزول

{ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ } نزلت في عدي بن أبى ربيعة، حليف بني زهرة، ختن[١] الأخنس بن شريق الثقفي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اكفني جارَي السوء، يعني: عديًا والأخنس. وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد حدثني عن القيامة[٢] متى تكون وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله عز وجل: "أيحسب الإنسان".

---

(١) الْخَتَنُ بِفَتْحَتَيْنِ عِنْدَ الْعَرَبِ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِ الْمَرْأَةِ كَالْأَبِ وَالْأَخِ وَالْجَمْعُ أَخْتَانٌ وَخَتَنُ الرَّجُلِ عِنْدَ الْعَامَّةِ زَوْجُ ابْنَتِهِ.، والختن أيضًا: زوج البنت أو زوج الأخت. الصحاح ١٦٣/١، المصباح المنير١٨/٣،المعجم الوسيط ٢١٨/١.

(٢) أسباب النزول للواحدى صـ ٢٩٦، تفسير البغوى٢٨٠/٨،

← وقال الإمام الآلوسي –رحمه الله– والمراد بالإنسان عديبن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذانكان النبي صلّى اللّه عليه وسلم يقول فيهما : «اللهم اكفني جاريّ السوء»

فقد روي أنه جاء إليه عليه الصلاة والسلام فقال : يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف يكون أمره؟

فأخبره رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع اللّه تعالى هذه العظام فنزلت.

←وقيل أبو جهل فقد روي أنه كان يقول : أيزعم محمد أن يجمع اللّه تعالى هذه العظام بعد بلائها وتفرقها فيعيدها خلقا جديدا فنزلت[١].

المطلب الثانى المفردات اللغوية

"لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ"

←الْقَسْمُ : إفراز النّصيب ، يقال : قَسَمْتُ كذا قَسْماً وقِسْمَةً وأَقْسَمَ : حلف ، وأصله من الْقَسَامَةُ، وهي أيمان تُقْسَمُ على أولياء المقتول ، ثم صار اسما لكلّ حلف. قال : وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ[٢] (الأنعام –١٠٩)، وقال ابن منظور: القَسَمُ بالتحريك اليمين وكذلك المُقْسَمُ وهو المصدر مثل المُخْرَج والجمع أَقْسام وقد أَقْسَم بالله واسْتَقْسَمه به وقاسَمَه حلَف له وتَقاسمَ القومُ تحالفوا وفي التنزيل "قالوا تَقاسَمُوا بالله" (النمل–٤٩) وأَقْسَمْت حلفت وأَصله من القَسامة[٣].

(١) تفسير الآلوسي ١٥٢/١٥، وينظر: تفسير الكشاف ٦٥٩/٤، تفسير القرطبي ٩٣/١٩، تفسير الثعلبي ٨٢/١٠، البحر المحيط ٣٤٤/١٠، التحرير والتنوير ٣١٥/٢٩.
(٢) المفردات ٦٧٠/١
(٣) لسان ٤٧٨/١٢، مادة قسم

←ويومُ القِيامة يومُ البَعْث وفي التهذيب القِيامة يوم البعث يَقُوم فيه الخَلْق بين يدي الحيّ القيوم قيل أَصله مصدر قام الخَلق من قُبورهم قِيامة[١]، قال ابن فارس: القاف والواو* والميم أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدهما على جماعةِ ناسٍ، وربّما استعير في غيرهمْ. والآخَر على انتصابٍ أو عَزْم[٢].

"وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"

←النفس اللوامة: اللَّوْمُ العَذْلُ تقول لاَمَهُ على كذا من باب قال و لَوْمَةً أيضا فهو مَلُومٌ و لَوَّمَهُ أيضا مُشدد للمُبالغة و اللَّوَّمُ جمع لائِمٍ[٣]،

قال ابن فارس:اللام والواو والميم كلمتانِ تدلُّ إحداهما على العَتْب والعَذْل، والأخرى على الإبطاء.فالأوَّل اللَّوْم، وهو العَذْل. تقول: لُمْتُه لَوْماً، والرّجلُ مَلوم. والمُلِيم: الذي يستحقُّ اللَّوْم[٤]، والنفس اللوامة:هى النَّفس التى اكتسبت بعض الفضيلة فتلُوم صاحبها إذا ارتكب مكروها، فهى دون النفس المطمئنَّة، وقيل: بل هى النفس التى قد اطمأَنَّت فِي ذاتها، وترشَّحت لتأْديب غيرها، فهى النفس المطمئنَّة[٥].

(١) تهذيب اللغة للأزهرى ٢٦٩/٩، لسان ٤٩٦/١٢ مادة قوم.
(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٣/٥ مادة قوم.
(٣) مختار الصحاح ٦٢٢/١.
(٤)معجم مقاييس اللغة ٢٢٢/٥.
(٥) بصائر ١٣٩٤/١

"أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ"

←(حسبت الشيء) بكسر السين: أي (ظننته)، وهو ضد علمته، فأنا (أحسبه وأحسبه) بفتحها وكسرها (محسبة ومحسبة) بفتحها وكسرها أيضا (وحسبانا) بكسر الحاء، فأنا حاسب أيضا: أي ظان، والشيء محسوب: أي مظنون، (وَالْحِسْبَانُ) بِالْكَسْرِ الظَّنُّ، الحُسْبَانُ بالضَّمِّ : الحِسَابُ،والحُسْبَانُ بالضَّمِّ: العذاب(١).

←"الإِنسَانُ "الإِنْسُ: البَشَر، الواحد إِنْسِيٌّ وأَنَسِيٌّ أيضاً بالتحريك، والجمع أَناسِيُّ. وإِنْ شئتَ جعلته إِنساناً ثم جَمَعْتَهُ أَناسِيَّ، فتكون الياء عوضاً من النون. وقال تعالى: " وأَناسيَّ كثيرا" (الفرقان-٤٩) وكذلك الأَناسِيَةُ. ويقال للمرأة أيضاً إِنْسانٌ، ولا يقال إِنْسانةٌ. وإِنْسانُ العين: المثال الذي يُرى في السواد(٢)، والإنسان لفظ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بصيغة واحدة، وهو مشتق من أنس وذلك أن أنس الأرض وتجملها وبهاءها إنما هو بهذا النوع الشريف اللطيف المعتمر لها والمعني بها فوزنه على هذا فعلان وقد ذهب بعضهم إلى أنه إِفْعِلانٌ من نَسِيَ لقوله تعالى (ولقد عَهِدْنا إلى آدم من قبل فَنَسِيَ)(طه-١١٥) ولو كان كذلك لكان إِنْسِيَاناً ولم تحذف الياء منه لأنه ليس هنالك ما يسقطها ورجح اشتقاقه من الأنس(٣).

وقال صاحب المصباح المنير: وَالْإِنْسَانُ مِنْ النَّاسِ اسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَاخْتُلِفَ فِي اشْتِقَاقِهِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى

(١) القاموس المحيط مادة حسب ٩٤/١، تاج العروس ٢٦٧/٢، الصحاح للجوهرى ١١١/١.
(٢) الصحاح ٢٤/١.
(٣)المخصص لابن سيده ٤٣/١.

زِيَادَةِ النُّونِ الْأَخِيرَةِ فَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ مِنْ الْأُنْسِ فَالْهَمْزَةُ أَصْلٌ وَوَزْنُهُ فِعْلَانٌ وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ مُشْتَقٌّ مِنْ النِّسْيَانِ فَالْهَمْزَةُ زَائِدَةٌ (١).

" بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ"

←وبلَى: رَدّ للنفى: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} إلى قوله: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً} أَو جوابٌ لاستفهام مقترن بنفى؛ نحو {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى} ونعم يقال فِي الاستفهام المجرّد؛ نحو {فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ}، ولا يقال ههنا: بلى. فإذا قيل: ما [عندى] شئٌ فقلت: بلى كان ذلك ردّاً لكلامه. فإذا قلت: نعم كان إقرارا منك ، بلى هو إثبات لما بعد النفي كما أن نعم تقرير لما سبق من النفي. (٢)

←"بَنَانَهُ "وهى الأَصابع، وقيل: رءُوس الأَصابع. الواحدة بَنَانة. سمّيت بذلك لأَن بها إِصلاح الأَحوال الَّتى (تمكّن الإِنسان) أَن يُبِنَّ فيما يريد أَى يقيم. ويقال بَنَّ بالمكان، وأَبَنَّ: أَى أَقام به. ولذلك خَصّ فِي قوله: {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ}[القيامة-٤]، {وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال-١٢]خَصّه لأَجل أَنَّها يقاتَل بها ويدافع(٣).

←"بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ"

فَجَرَ أَمرُ القوم فسد والفُجور الرِّيبة والكذب من الفُجُور، والفُجُورُ : شقّ ستر الدّيانة ، يقال : فَجَرَ فُجُوراً فهو فَاجِرٌ ، وجمعه : فُجَّارٌ وفَجَرَةٌ.

---

(١)المصباح المنير ١/١٤٤.

(٢) بصائر ذوى التمييز ١/٥٣٦، العين للخليل بن أحمد ٨/٣٤٠، التعريفات للجرجانى صـ٦٧، مغنى اللبيب صـ١٥٣.

(٣) بصائر ذوى التمييز ١/٥٣٧، المصباح المنير ١/٣٨٠.

قال تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ [المطففين / ٧] ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار / ١٤] ، أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ [عبس / ٤٢] ، وقوله : بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ [القيامة / ٥] ، أي : يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها. وقيل : معناه يذنب ويقول غدا أتوب ، ثم لا يفعل فيكون ذلك فجورا لبذله عهدا لا يفي به. وفَجَرَ فُجوراً، أي فسق. وأصله الميلُ. والفاجِرُ: المائلُ. والفَجَرُ بالفتح: الكرمُ والتفجُّرُ في الخير، ومعنى "لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ "يكذّب بما أمامه من البعث والحساب[١].

"يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ"

← أيان: اسم استفهام وإنما يستفهم به عن الزمان المستقبل، وقال السكاكي : لا تستعمل إلا في مواضع التفخيم نحو "أيان مرساها"{الأعراف-١٨٧}"أيان يوم الدين"{ الذاريات-١٢} والمشهور عند النحاة أنها كمتى تستعمل في التفخيم وغيره[٢].

وتعرب ظرفا للزمن المستقبل نحو (أيان يبعثون) وتجيء للشرط نحو (أيان نؤمنك تأمن غيرنا. والسؤال في الآية سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة" وقد جاء بأداة الاستفهام (أيان) التي تدل على شدة الاستبعاد وهذا المتعنت المستبعد لقيام الساعة هو الذي يقدم الفجور والمعصية ويؤخر التوبة[٣].

---

(١) لسان العرب ٤٥/٥، المفردات ٦٢٦/١، الصحاح ٣٤/٢، القاموس المحيط ٥٨٤/١، تفسير البغوى ٢٨١/٨.

(٢) مفتاح العلوم للسكاكى ١٤٠، الإتقان٤٦١/١، المعجم الوسيط ٣٥/١، لمسات بيانية لفاضل السامرائى ٢٠٧/١.

(٣) المعجم الوسيط ٣٥/١، لمسات بيانية لفاضل السامرائى ٢٠٧/١.

"فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ"

←بَرِقَ البصرُ دَهِشَ فلم يبصر وبَرِقَ بالكسر يَبْرُقُ بَرَقاً، إذا تحيَّر فلم يَطْرِف، فإذا قلت: بَرَقَ البصر بالفتح، فإنَّما تعني بَريقَهُ إذا شَخَصَ، والبَرْقُ: لمعان السحاب ، قال تعالى : فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ [البقرة / ١٩]. بَرِقَ وأَبْرَقَ، وبَرَقَ يقال في كل ما يلمع ، نحو : سيف بَارِقٌ ، وبَرَقَ وبَرِقَ يقال في العين إذا اضطربت وجالت من خوف ، قال الزجاج : برق بصره بكسر الراء يبرق برقا إذا تحير ، والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق ، فيؤثر ذلك في ناظره ، ثم يستعمل ذلك في كل حيرة ، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق(١)

"وَخَسَفَ الْقَمَرُ"

←خَسَفَ الْمَكَانُ خَسْفًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَخُسُوفًا أَيْضًا غَارَ فِي الْأَرْضِ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ذَهَبَ ضَوْءُهُ أَوْ نَقَصَ وَهُوَ الْكُسُوفُ أَيْضًا وَقَالَ ثَعْلَبٌ أَجْوَدُ الْكَلَامِ خَسَفَ الْقَمَرُ وَكَسَفَتْ الشَّمْسُ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي الْفَرْقِ إذَا ذَهَبَ بَعْضُ نُورِ الشَّمْسِ فَهُوَ الْكُسُوفُ وَإِذَا ذَهَبَ جَمِيعُهُ فَهُوَ الْخُسُوفُ وَخَسَفَتْ الْعَيْنُ إذَا ذَهَبَ ضَوْءُهَا وَخَسَفَتْ عَيْنُ الْمَاءِ غَارَتْ، وخَسَفَ الله به الأرض خَسْفاً، أي غاب به فيها. ومنه قوله تعالى: " فَخَسَفْنا به وبدارِهِ الأرضَ"[القصص-٨١]وخُسوفُ العين: ذَهابها في الرأس، وعين خَاسِفَة : إذا غابت حدقتها ، وبئر مَخْسُوفَة : إذا غاب ماؤها ونزف والخَسْفُ: النقصانُ. يقال رضي فلانٌ بالخَسْفِ، أي بالنقيصة(٢).

---

(١) ينظر: المفردات ١١٨/١، لسان العرب ١٤/١٠، تفسير الكشاف ٦٦٠/٤، تفسير الرازى ٧٢٣/٣٠، الصحاح للجوهرى ٣٩،٤٠/١، الموسوعة القرآنية ٥٢٤١/١

(٢) مفردات القرآن ٢٨٢/١، المصباح المنير ٥٧/٣، الصحاح١٧٢/١.

"وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"

← جمعهما بأنْ يطلعهما الله تعالَى من المغربِ وقيلَ : جُمِعا في ذهابِ الضوءِ(١).

"يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ"

←أصل الفَرِّ : الكشف عن سنّ الدّابّة. يقال : فَرَرْتُ فِرَاراً ، ومنه : الِافْتِرَارُ ، وهو ظهور السّنّ من الضّحك ، وفَرَّ عن الحرب فِرَاراً. وأَفْرَرْتُهُ : جعلته فَارّاً ، ورجل فَرٌّ وفَارٌّ ، والمَفَرُّ : موضع الفرار ، ووقته، والفرار نفسه، وقوله : أَيْنَ الْمَفَرُّ [القيامة / ١٠] ، يحتمل ثلاثتها. وفَرَّ يَفِرُّ فِراراً: هرب. وأَفَرَّهُ غيره. ورجلٌ فَرٌّ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث. وفَرَرْتُ الفرس أُفُرُّهُ بالضم فَرًّا، إذا نظرت إلى أسنانه، وفَرَرْتُ عن الأمر: بحثت عنه. وافْتَرَّ فلانٌ ضاحكاً، أي أبدى أسنانه. وفُرَّهُ الحَرِّ بالضم: أوّله، ويقال شِدَّته. والمَفَرُّ: الفِرارُ. ومنه قوله تعالى" أينالمَفَرُّ" والمَفِرُّ بكسر الفاء: الموضع(٢).

" كَلاَّ لا وَزَرَ "

←الوَزَرُ محرَّكةً : الجبلُ المَنيعُ وكلُّ مَعْقِلٍ والمَلْجَأُ والمُعْتَصَمُ . والوِزْرُ بالكسر : الإثمُ والثِّقْلُ والسِّلاحُ والحِمْلُ الثقيلُ ج : أوْزارٌ، والوَزَرُ: المَلْجأُ الذى يُلْتَجَأُ إِليه من الجَبَل، قال تعالى : كَلَّا لا وَزَرَ إِلى رَبِّكَ[القيامة/ ١١]

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود ٤١٤/٦.

(٢) مفردات القرآن ٦٢٨/١ بصائر ذوى التمييز ١١٩٧/١، الصحاح ٣٨/٢، الموسوعة القرآنية للإبيارى ٣٥/١.

والمُؤازَرَة: المُعاونَة، ومنه الوزِير، قال تعالى: {وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي} وهو الذى يُؤازِرُه فيَحْمِل عنه ما يَثْقُل عليه. والوَزِيرُ: الَّذى يَلْتَجِئ الأَميرُ إِلى رَأْيه، فهو وَزَرٌ له، أَى مَلجأُ ومَفْزَعٌ، أَو لأَنَّه يَحمل ثِقْلَ أَمِيرِه.

ووَضَعَتِ الحربُ أَوْزارها، أَى انقضىَ أَمْرُها وخَفَّت أَثقالُها، ولم يَبْقَ قِتال.

ووَزَرَ فلانٌ: أَذْنَبَ فهو وازِرٌ[١].

" إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ "

←قَرَّ الشَّيْءُ قَرًّا مِنْ بَابِ ضَرَبَ اسْتَقَرَّ بِالْمَكَانِ وَالِاسْمُ الْقَرَارُ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَوْمُ الْقَرِّ لِأَنَّ النَّاسَ يَقِرُّونَ فِي مِنًى لِلنَّحْرِ، وَالِاسْتِقْرَارُ التَّمَكُّنُ وَقَرَارُ الْأَرْضِ الْمُسْتَقَرُّ الثَّابِتُ وَقَاعٌ قَرْقَرٌ أَيْ مُسْتَوٍ[٢].

" يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ "

←أي يخبر ابن آدم برا كان أو فاجرا {بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} : أي بما أسلف من عمل سيء أو صالح ، أو أخر من سنة سيئة أو صالحة يعمل بها بعده، و[النَّبَأُ] : خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غَلَبَة ظنّ ، ولا يقال للخبر في الأصل نَبَأٌ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثّلاثة ، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نَبَأٌ أن يتعرّى عن الكذب ، كالتّواتر ، وخبر اللّه تعالى ، وخبر النبيّ عليه الصلاة والسلام ، ولتضمُّن النَّبَإِ معنى الخبر يقال : أَنْبَأْتُهُ بكذا كقولك : أخبرته بكذا ، ولتضمّنه معنى العلم قيل : أَنبَأْتُهُ كذا ، كقولك : أعلمته كذا[٣].

---

(١) بصائر ذوى التمييز ١/١٥٦٠، مفردات القرآن ٨٦٧، القاموس المحيط ١/٦٣٣.
(٢) المصباح المنير٧/ ٣٥٧.
(٣) مفردات القرآن ٧٨٨، تفسير القرطبي ١٩/٩٨.

"بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"

←البَصَرُ: حاسَّةُ الرؤيةِ. وأَبْصَرْتُ الشيءَ: رأيته. والبصيرُ: خلافُ الضرير. وباصَرْتُهُ، إذا أَشْرَفْتَ تنظُر إليه من بعيد. والبَصَرُ: العِلْمُ. وبَصُرْتُ بالشيء: عَلِمْتُهُ. قال الله تعالى: " بَصُرْتُ بما لم يَبْصُروا به"[طـه- ٩٦] . والبَصيرُ: العالِمُ. والتَبَصُّرُ: التأمُّلُ والتَعَرُّف. والتَبْصيرُ: التعريفُ والإيضاحُ. والمُبْصِرَةُ: المُضيئَةُ، وهي البَصائرُ. والبَصيرَةُ: الحُجَّةُ والاسْتِبصارُ في الشيء. وقوله تعالى: " بَلِ الإنسانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصيرَةٌ " ، قال الأخفش: جعله هو البَصيرَةَ كما يقول الرجل للرجل: أنت حُجَّةٌ على نفسك، وجمع البصر أَبْصَار ، وجمع البصيرة بَصَائِر(١).

" وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ "

←العُذْر: الحجة التي يُعْتَذر بها والجمع أَعذارٌ يقال اعْتَذَر فلان اعْتِذاراً ومَعْذِرة من دِيْنِهِ فعَذَرْته وعذَرَ يَعْذُرهُ فيما صنع عُذْراً ومَعْذِرة والاسم المعذِرَة، "بل الإنسانُ على نفسه بَصِيرةٌ ولو أَلْقى مَعاذِيرَه"، قيل المعاذير الحُجَجُ أي لو جادَلَ عنها ولو أَدْلى بكل حجة يعتذر بها وجاء في التفسير المَعاذير السُّتور بلغة اليمن واحدها مِعْذارٌ أي ولو أَلقى مَعاذِيرَه، ومَعاذِيرَه " ، لغةٌ أزْدية وهو السُّتُور ، الواحد مِعذار . وعَذِرة الدار : فِناؤُها ، وبه كُنِيَ عن العَذِرة ذاتِ البطن . والعُذْرة عُذْرة البِكر معروفة ، وكذلك عُذْرة المختون . وبنو عُذْرة : بطنٌ من العرب عظيم . والعاذر : ما يلقيه الإنسان من بطنه(٢).

---

(١) الصحاح للجوهرى ٤٥/١، مفردات القرآن ١٢٧/١.

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٢٢٢/١، لسان العرب ٥٤٥/٤، الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروى ١٨٢/١.

المطلب الثالث الإعراب

"لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ"

{لَا} صلة لتأكيد معنى القسم، وقيل {لَا} لنفى القسم وتكون نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث ، أي: ليس الأمر كما زعموا ، ثم ابتدأ : أقسم بيوم القيامة أو(أنها نافيةٌ لكلامٍ متقدِّمٍ ، كأنَّ الكفارَ ذَكروا شيئاً . فقيل لهم : لا ، ثم ابتدأ اللَّهُ تعالى قَسَماً، و{أُقْسِمُ} فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: أنا يعود على الله سبحانه، {بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} متعلق بـ {أُقْسِمُ}، جملة: «أقسم ...» لا محلّ لها من الإعراب ابتدائيّة[1]. وسيأتى مزيد بيان لهذه الآية عند تفسيرها.

"وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"

عطف على الجملة السابقة واللوّامة نعت للنفس، وكرّر فعل القسم تنبيهًا على أن كلا من المقسم به مقصود مستقل. وجواب القسم محذوف وجواب القسم لكلا الجملتين محذوف تقديره "لتبعثنّ" دلّ عليه ما بعده وهو : "أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ"[2].

---

(١) ينظر: معانى القرآن للفراء ٢٠٧/٣، تفسير الطبرى ٤٨/٢٤، تفسير الكشاف ٦٥٨/٤، الدر المصون ٥٥٢١/١ ، تفسير الماوردى ١٥٠/٦، تفسير الآلوسي ١٥٠/١٥، الجدول في إعراب القرآن ١٦٧/٢٩.

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان٤٦١/٣٠، الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافى ١٦٧/٢٩، إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس٤٠٣/٣.

"أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ"

(الهمزة) للاستفهام التقريعيّ التوبيخيّ «يحسب الإنسان »فعل وفاعل جملة لا محلّ لها من الإعراب مستأنفة.

(أن) مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف. و«لن نَجْمَعَ» مضارع منصوب بلن والفاعل مستتر و«عِظامَهُ» مفعول به والجملة خبر أن المخففة والمصدر المؤول من أن وما بعدها سد مسد مفعولي يحسب وجيء بحرف {لن} الدال على تأكيد النفي لحكاية اعتقاد المشركين استحالة جمع العظام بعد رمامها وتشتتها(١).

" بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ"

(بلى) حرف جواب لإيجاب السؤال المنفيّ أي بلى نجمعها (قادرين)

و{قَادِرِينَ} حال من فاعل الفعل المقدّر المدلول عليه بحرف الجواب، تقديره: بل نجمعها حال كوننا قادرين،" وهو المشهور"(٢) والجملة المحذوفة جملة جوابية لا محل لها من الإعراب أو خبر لـ {كان} المحذوفة؛ أي: بلى كنّا قادرين.

{عَلَى} حرف جرّ، {أَن} حرف نصب، {نُسَوِّيَ} فعل مضارع وفاعل مستتر منصوب بـ {أن}، والمصدر المؤوّل (أن نسوّي) في محلّ جرّ ب (على) أي: على تسويتنا بنانه، متعلّق ب(قادرين).

---

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافى ١٦٨/٢٩، البحر المحيط ٣٤٤/١٠، إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش ١٠/ ٢٩٦، تفسير أبى السعود ٤١٣/٦، التحرير والتنوير٣١٥/٢٩، تفسير حدائق الروح والريحان٤٦١/٣٠، إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس٤٠٣/٣.

(٢) الكتاب لسيبويه ٦٩/١، شرح المفصل لابن يعيش ٣٤/٢، الدر المصون ٥٦٥/١٠.

وجملة: « (نجمعها) قادرين» لا محلّ لها استئنافيّة.

{بَنَانَهُ} مفعول به ومضاف إليه [١].

"بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ"

«بَلْ» للإضراب الانتقاليّ[٢].

و «يُرِيدُ الْإِنْسانُ» فعل مضارع وفاعله، ومفعولُ «يريد» محذوفٌ يَدُلُّ عليه التعليلُ في قوله: «لِيَفْجُرَ أمامَه» والتقدير: يريد شَهَواتِه ومعاصِيَه ليمضيَ فيها أبداً دائماً، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

و «لِيَفْجُرَ» مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل

و «أَمامَهُ» ظرف أستعير للزمان- وكان للمكان- منصوب، والمصدر المؤول من أن المضمرة والفعل في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل.دعاس٣/٤٠٣

---

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافى ١٦٨/٢٩،تفسير حدائق الروح والريحان ٤٦١/٣٠.

(٢) بل: حرف إضراب إذا تلاها جملة، ثم تارة يكون معنى الإضراب الإبطال لما قبلها وهو أن تأتي بجملة تبطل معنى الجملة السابقة، وذلك نحو قوله تعالى: {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون} [الأنبياء: ٢٦]، فقوله: (بل عباد مكرمون) إبطال للكلام الأول، وتارة يكون معناه الانتقال: وهو أن تنتقل من غرض إلى غرض آخر، مع عدم إرادة إبطال الكلام الأول، وذلك نحو قوله تعالى: {قد أفلح من تزكي وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقي} [الأعلى: ١٤ - ١٧]، فجملة (بل تؤثرون الحياة الدنيا) ليست إبطالا للجملة الأولى بل هي انتقال من غرض إلى غرض آخر، أما إذا تلاها مفرد فهي حرف عطف ولم تقع في القرآن ينظر: شرح المفصل ٢٧/٥،مغنى اللبيب ١٥١/١، الإتقان في علوم القرآن ٤٦٤/١. دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة٥٩/٢. معانى النحو لفاضل السامرائى ٢٥٧/٣.

وقيل:(اللام) زائدة ويفجر منصوب بأن مقدرة والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول يريد والوجه الأول هو الصحيح(١).

"يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ"

{يَسْأَلُ} فعل مضارع والفاعل مستتر يعود على {الْإِنْسَانُ}.

←والجملة مستأنفة لا محل لها للتعجيب من حال سؤالهم عن وقت يوم القيامة وهو سؤال استهزاء لاعتقادهم استحالة وقوعه.

←أو بدل من الجملة التي قبلها، أو في محل النصب حال من {الْإِنْسَانُ}؛ أي: يريد أن يستمر في فجوره في حال كونه سائلًا على سبيل الاستهزاء أيّان يوم القيامة؟ {أَيَّانَ} اسم استفهام في محل النصب على الظرفية الزمانية، والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، و«يَوْمُ» مبتدأ مؤخر مضاف إلى «الْقِيامَةِ» والجملة في محل النصب مفعول به لـ {يسأل}(٢).

"فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ"، "وَخَسَفَ الْقَمَرُ"، "وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"، "يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ".

←«فَإِذا» الفاء حرف استئناف و«إذا» ظرفية شرطية غير جازمة.

و«بَرِقَ الْبَصَرُ» ماض وفاعله والجملة في محل جر بالإضافة.

---

(١) ينظر: الدر المصون ٥٦٦/١٠، الجدول في إعراب القرآن ١٦٩/٢٩، إعراب القرآن لابن سيده ٨/ ١٦٥، إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس٤٠٣/٣، إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش٢٩٧/١٠، التفسير المنير للزحيلى ٢٥١/٢٩.

(٢)إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٣/٣، الجدول في إعراب القرآن ١٦٩/٢٩،إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش٢٩٧/١٠،التحرير والتنوير ٣١٨/٢٩، حدائق الروح والريحان ٤٦١/٣٠.

← «وَخَسَفَ الْقَمَرُ» في محلّ جرّ معطوفة على جملة برق البصر.

← و«جُمِعَ» ماض مبني للمجهول و«الشَّمْسُ» نائب فاعل و«الْقَمَرُ» معطوف على الشمس والجملة معطوفة على ما قبلها.

← «يَقُولُ الْإِنْسانُ» مضارع وفاعله والجملة جواب الشرط لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم.

← و «يَوْمَئِذٍ» يوم ظرف زمان مضاف إلى مثله متعلق ب {يقول} أي يوم إذ يبرق البصر ويخسف القمر ويجمع الشمس والقمر، فتنوين "إذ" تنوين عوض عن الجملة المحذوفة التي دلت عليها الجملة التي أضيف إليها "إذ".

← و «أَيْنَ» اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر مقدم ،

← و «الْمَفَرُّ» مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول[1].

"كَلاَّ لا وَزَرَ"

«كَلَّا» حرف ردع وزجر عن طلب الفرار و«لا» نافية للجنس و«وَزَرَ» اسمها مبني على الفتح في محل نصب والخبر محذوف تقديره موجود، والجملة مستأنفة لا محل لها[2].

---

(١)إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٣/٣، الجدول في إعراب القرآن ١٦٩/٢٩،إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش٢٩٨/١٠،التحرير والتنوير ٣٢٠/٢٩، حدائق الروح والريحان ٤٦٢/٣٠.

(٢)إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٣/٣، الجدول في إعراب القرآن ١٧٠/٢٩.

"إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ"

{إِلَى رَبِّكَ} خبر مقدم، و{يَوْمَئِذٍ} ظرف أضيف إلى مثله، متعلق بفعل محذوف، دل عليه {الْمُسْتَقَرُّ}، تقديره: يستقر الأمر، ويرجع إلى ربك يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة، ويجوزُ أَنْ يكونَ مصدراً بمعنى الاستقرارِ، وأَنْ يكونَ مكانَ الاستقرارِ. «ويومَئذٍ» منصوبٌ بفعلٍ مقدرٍ، ولا ينْتَصِبُ بمُسْتقر؛ لأنَّه إنْ كان مصدراً فلتقدُّمِه عليه، وإنْ كان مكاناً فلا عَمَلَ له البتةَ. والجملة الاسمية مستأنفة(١).

"يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ"

« يُنَبَّؤُا » مضارع مبني للمجهول.

و«الْإِنْسانُ» نائب فاعل والجملة مستأنفة.

و«يَوْمَئِذٍ» ظرف مضاف إلى مثله.

و«بِما» متعلقان بالفعل.

و«قَدَّمَ» ماض فاعله مستتر والجملة صلة ما لا محل لها.

«وَأَخَّرَ» لا محلّ لها معطوفة على جملة الصلة، أي يخبر الإنسان يوم إذ كانت هذه الأمور الثلاثة وهي برق البصر وخسف القمر والجمع بين الشمس والقمر بما قدّم من عمل عمله وبما أخّر منه لم يعمله(٢).

---

(١)الدر المصون ٥٧٠/١٠،الجدول في إعراب القرآن ١٦٩/٢٩،إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش٢٩٨/١٠،التحرير والتنوير ٣٢٠/٢٩، حدائق الروح والريحان ٤٦٢/٣٠.

(٢)إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٣/٣، الجدول في إعراب القرآن ١٧١/٢٩،إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش٢٩٨/١٠.

"بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"

{بَلِ} حرف عطف وإضراب انتقاليّ، {الْإِنْسَانُ} مبتدأ، {عَلَى نَفْسِهِ} متعلق بـ {بَصِيرَةٌ}،

←وبصيره يجوز فيها أن تكون خبرا للإنسان وهو الأرجح والمعنى بل الإنسان بصيرة على نفسه.

←وعلى هذا يرد السؤال الآتي : لماذا أنّث الخبر؟ وقد اختلف النحاة في الإجابة فقال بعضهم الهاء فيه ليست للتأنيث بل للمبالغة وقال الأخفش : هو كقولك فلان عبرة وحجّة وقيل : المراد بالإنسان الجوارح فكأنه قال : بل جوارحه بصيرة أي شاهدة.

←ويجوز أن تكون بصيرة مبتدأ مؤخرا وعلى نفسه خبرا مقدما والجملة خبر عن الإنسان وعلى هذا تكون بصيرة صفة لمحذوف أي عينٌ بصيرةٌ أو جوارح بصيرة، والتاء على هذا الوجه للتأنيث وإلى هذا ذهب الزمخشري فقال : « بصيرة : حجة بيّنة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله: فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ، أو لأعين بصيرة ».

←ويجوز أن يكون على نفسه خبرا وبصيرة فاعل به والأصل في الإخبار الإفراد والأوجه الثلاثة متساوية في القوة والأرجحية[1].

(١)ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٨٢/٥، الدر المصون ٥٧٠/١٠، تفسير الآلوسى ١٥٦/١٥، التحرير والتنوير ٣٢٢/٢٩،إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٤/٣، إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش٢٩٨/١٠،حدائق الروح والريحان ٤٦٢/٣٠.

"وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ"

←{وَلَوْ} {الواو} حالية، {لو} حرف شرط.

←{أَلْقَى} فعل ماض وهو فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره "هو".

←{مَعَاذِيرَهُ} مفعول به، وجواب الشرط محذوف تقديره: ما قبلت منه، والجملة الشرطية في محل النصب حال من الضمير المستكن في {بَصِيرَةٌ}، أو من مرفوع ينبأ والتقدير: بل الإنسان شاهد على نفسه حال كونه ملقيًا معاذيره أو غير ملقٍ إياها(١).

المطلب الرابع البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروبًا من البلاغة وأنواعًا من الفصاحة .

←فمنها: فنّ التقسيم(٢). في قوله: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)}، وسمّاه ابن الأثير(٣)التناسب بين المعاني،

(١)ينظر: روح البيان لإسماعيل حقى البروسوى ١٩١/١٠، تفسير الآلوسى ١٥٦/١٥، التحرير والتنوير ٣٢٣/٢٩،إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٤/٣، إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش٢٩٩/١٠،حدائق الروح والريحان ٤٦٢/٣٠.

(٢)التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو عبارة عن «استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه»ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزوينى٣٣٧/١، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر٢٦٤/٢، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكى٢٥٥/٢، الإتقان للسيوطى ٢٤٠/٢، علم البديع لعبد العزيز عتيق صـ١٣٤.

(٣)العلامة الوزير ضياء الدين ابن الأثير صاحب كتاب " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ". مولده بجزيرة ابن عمر في سنة ثمان وخمسين وخمس مئة، وتحول منها مع أبيه وإخوته، فنشأ بالموصل، وحفظ القرآن، وأقبل على النحو واللغة والشعر والاخبار. توفي في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مئة، وأخوه عز الدين ابن الأثير صاحب "الكامل" في التاريخ واسمه علي بن محمد الجزري توفي سنة ٦٣٠هـ ، وأخوه المحدث أبو السعادات ابن الأثير المحدث صاحب "جامع الاصول" و "النهاية في غريب الحديث" المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

لتناسب الأمرين المقسم بهما، فهذه الآية تعدّ من محاسن التقسيم، لتناسب الأمرين المقسم بهما، فقد أقسم بيوم البعث أوّلًا ثمّ بالنفوس المجزية فيه على حقيقة البعث والجزاء(١).

←ومنها: الاستفهام الإنكاري لغرض التوبيخ والتقريع في قوله: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}(٢).

←ومنها الكناية (٣) فيقوله: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}والعظام في الآية: كناية عن الجسد كله، وإنما خصت بالذكر لحكاية أقواله: {مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يّس: ٧٨] ولأنها قالب الخلق(٤).

←والتسوية كناية أخرى عن الخلق لأنها تستلزمه فإنه ما سوي إلا وقد أعيد خلقه قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى:٢].

والبنان أصابع اليدين والرجلين أو أطراف تلك الأصابع، وهو اسم جمع بنانه. وإذا كانت هي أصغر الأعضاء الواقعة في نهاية الجسد كانت تسويتها كناية أيضا عن تسوية جمع الجسد لظهور أن تسوية أطراف الجسد

---

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش١٠/٣٠٠،حدائق الروح والريحان ٣٠/٤٧٠، الجدول في إعراب القرآن ٢٩/١٦٨.

(٢) ينظر: حدائق الروح والريحان ٣٠/٤٧٠، صفوة التفاسير للصابونى٣/٤٣٦.

(٣) الكناية: لفظ أريد به غير معناه الذى وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلى لعدم وجود قرينة مانعة عن إرادته ، ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوينى صـ٣٠١، ت الشيخ بهيج عزاوى– ط دار إحياء العلوم – بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨، جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمى صـ٢٨٨ ط المكتبة العصرية – بيروت، البلاغة الواضحة للأستاذين على الجارم ، ومصطفى أمين صـ١٤٦ ط دار المعارف – لبنان

(٤) ينظر: تفسير القرطبى١٩/٩٣، التحرير والتنوير٢٩/٣١٥.

تقتضي تسوية ما قبلها كما تقول: قلعت الريح أوتاد الخيمة كناية عن قلعها الخيمة كلها فإنه قد يكنى بأطراف الشيء عن جميعه(١).

← ومنها توافق الفواصل المسمى بالسجع(٢) المرصّع، في قوله {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ}(٣).

←ومنها: الطباق(٤) بين {قَدَّمَ} و {أَخَّرَ}(٥).

←ومنها: استبعاد تحقق الأمر في قوله: {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)}؛ لأن الغرض من الاستفهام الاستبعاد والإنكار(٦).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير٢٩/٣١٦.

(٢) ينظر: السجعُ: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من (النثر)وهذا معنى قول السكاكي الأسجاع من النثر كالقوافي في الشعر وأفضلهُ: ما تساوت فقره – وهو ثلاثة أقسام:

أولها : السجع المطرف وهو: ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقنا في التقفية، نحو قوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً)

ثانيها : السجع المُرصَّع وهو: ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتّقفية، كقول الحريري، هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه

ثالثها : السجع المتوازي وهو: ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية نحو قوله تعالى (فيها سرر مرفوعة وأكوابُ موضوعة)

ـ ينظر: جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمى صـ٣٦٢، الإيضاح صـ٣٦٢ ، التعريفات للجرجانى صـ١٥٦ ،

(٣) ينظر: التفسير المنير ٢٩/٢٥٢، صفوة التفاسير٣/٤٣٦.

(٤) الطباق هو: أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل كالبياض والسواد ، والليل والنهار، كقوله تعالى: "فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً" طابق بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير" ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوينى صـ٣١٧، البرهان في علوم القرآن للزركشى ٣/٤٥٥، الإتقان للسيوطى ٢/٢٥٥،. جواهر البلاغة للهاشمى ٣٠٣، البلاغة الواضحة ٣١٧،

(٥) ينظر: التفسير المنير ٢٩/٢٥٢، حدائق الروح والريحان٣٠/٤٧٠.

(٦) ينظر: التفسير المنير ٢٩/٢٥٢، صفوة التفاسير للصابونى ٣/٤٣٦.

المطلب الخامس القراءات

قوله تعالى { لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } قرأ ابن كثير(١) بخلف عن البزي بحذف الألف التي بعد اللام فتصير لام توكيد، والباقون بإثبات الألف وهو الوجه الثاني للبزي، ولا خلاف بينهم في إثبات الألف في المواضع الثاني وهو "ولا أقسم بالنفس"(٢).

قوله تعالى {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ }"أيحسب "قرأ أبوجعفر وابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين وهى لغة تميم، وقرأ الباقون بكسرها وهى لغة الحجاز(٣).

قوله تعالى {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ }قرأ نافع فإذا برق البصر بفتح الراء أي شخص إذا فتح عينيه عند الموت، وقيل برق لمع بصره.

وقرأ الباقون برق بالكسر أي تحير، والحجة لمن كسر أن الكسر لا يكون إلا في التحير، فأما الفتح فلا يكون إلا الضياء وظهوره كقولهم برق الصبح والبرق اذا لمعا وأضاءا، وقيل هما لغتان معناهما التحير والدهشة وقال الأخفش: المكسورة في كلامهم أكثر، والمفتوحة لغة أيضا(٤).

قوله تعالى{بَصِيرَةٌ، مَعَاذِيرَهُ ، نَّاضِرَةٌ، نَاظِرَةٌ، بَاسِرَة، فَاقِرَة } رقق راء الجميع ورش(٥).

---

(١) هو: عبد الله بن كثير المكى كنيته أبو معبد من التابعين، إمام المكيين في القراءة، ولد بمكة سنة خمس وأربعين وتوفى سنة عشرين ومائة، روى عنه القراءة البزى وقنبل. ينظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصارللذهبي٨٦/١، سير أعلام النبلاء٣١٨/٥ ، شذرات الذهب ١٥٧/١.

(٢) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه٣٥٦/١، حجة القراءات لابن زنجلة ٧٣٥،النشر في القراءات العشر ٣١٧/٢، البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضى صـ٣٥٤.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢٧٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢١٢/١، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب١٨١/١٠.

(٤) التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون٦٠٥/٢، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣٥٧، حجة القراءات لابن زنجلة ٧٣٥،معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب١٨١/١٠.

(٥) البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضى صـ٣٥٥، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب١٨٨/١٠.

المطلب السادس

البيان والتفسير

"لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ"

اختلفت الأقوال في هذه الآية

قال الواحدى[١]: -رحمه الله-لا اختلاف بين المفسرين وأهل المعاني أن المراد: أقسم بيوم القيامة[٢]. ثم اختلفوا في معنى { لا } وذكروا أقوالاً متعددة وهى:

أولاً: أن { لا } صلة تزاد لتوكيد القسم ، مثلها في قوله تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) [الحديد : ٢٩] لتأكيد وجوب العلم . قال الزمخشري : إدخالُ « لا » النافيةِ على فعلِ القسمِ مستفيضٌ في كلامِهم وأشعارِهم .وفائدتُها توكيدُ القسم[٣].فالمعنى تأكيد للقسم كقولك لا والله.

---

(١)هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار أصله من ساوة (بين الري وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور له " البسيط " و " الوسيط " و " الوجيز " كلها في التفسير، توفى سنة ٤٦٨. له ترجمة في : سير أعلام النبلاء٣٣٩/١٨، الأعلام للزركلى ٢٥٥/٤.

(٢)ينظر: التفسير البسيط ٤٧١/٢٢، وحكى الإجماع من المفسرين كل من السمرقندى في بحر العلوم ٣٤٧/٤، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٩٢، ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٩٧، الخازن في لباب التأويل ٤/ ٣٦٩. كما نقل الإجماع الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٣٣٥، وذكر الطبري في تفسيره إجماع الحجة على أن معنى الآية: أقسم ٢٤/ ٤٨، وأما أهل المعاني فقال بذلك أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥١.

(٣) تفسير الكشاف ٤/ ٦٥٨،

ثانيًا: « لا » النافيةِ . واختلفوا حينئذٍ فيها على أوجهٍ ، أحدُها : أن – لا – نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث ، أي : ليس الأمر كما زعمــوا ، ثم ابتدأ : أقسم بيوم القيامة

الثاني: أو(أنها نافيةٌ لكلامٍ متقدِّمٍ ، كأنَّ الكفارَ ذَكروا شيئاً . فقيل لهم: لا، ثم ابتدأ اللَّهُ تعالى قَسَماً [١].

وقال الفراء[٢] في قوله { لا } : رد لكلام المشركين ثم ابتــدأ القســم فقال أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ، وقال: وكل يمين قبلها رد فلا بد من تقديم (لا) قبلها ليفرّق بين اليمين التي تكون جحدا واليمين التي تستأنف ، ألا تــرى أنــك تقول مبتدئا : والله إن الرسول لحق ، فإذا قلت : لا والله إن الرسول لحــق، فكأنك أكّدت قوما أنكروه[٣].

---

(١) رجحه الطبرى ٤٨/٢٤،

(٢)هو: يحيى بن زياد أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بــالنحو واللغــة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء مــا كانت اللغة. ولد بالكوفة سنة ١٤٤هــ، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهلــه يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. من كتبه معانى القرآن، والمقصور والممدود وغيرها، توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هــ. له ترجمة في : الفهرست لابن النديم ٩٨/١، بغية الوعاةفي طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ٣٣٣/٢، تاريخ الإســلام للــذهبى ٢٩٤/١٤، الأنســاب للسمعانى ٣٥٢/٤.

(٣) ينظر تفسير: الطبرى ٤٨/٢٤، معانى الفراء ٢٠٧/٣، تفسير الثعلبــى١٩/١٠، الكشــاف ٦٥٨/٤ ، الدر المصون٥٥٢١/١ ، الماوردى ١٥٠/٦، اللبــاب لابــن عــادل ٥١١٩/١، تفسير الآلوسى ١٥٠/١٥، حاشية الطيبي ١٥٠/١٦،

ثالثًا: أن { لا } لنفي القسم .فكأن الله تعالى يريد أن يقول : لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب ، فهو أعظم وأجل من أن يقسم عليه بهذه الأشياء . ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه ، وتفخيم شأنه ، أو : يكون الغرض إثبات أن المقسم عليه ، أظهر وأجل من أن يقسم عليه بمثل هذه الأشياء ، فإن إثباته أظهر وأجل وأقوى من أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم(١).

والراجح الرأي الأول أوالثانى: أن (لا) صلة أو أن تكون ردًّا لكلام قد سبق. قال الواحدى: وكلا الوجهين هاهنا جائز لإجماع الجمهور عليه(٢). والقاعدة الترجيحية تنص على: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه(٣).

واختلف العلماء في جواب القسم على أقوال:

١- أنه محذوف تقديره : لتبعثنّ، دل عليه قوله {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ} [القيامة : ٣]. وهو الراجح

٢- وقيل: الجواب : " أيَحْسَبُ ".

---

(١) رجحه الزمخشري في تفسيره ٤/ ٦٥٨، الفخر الرازي في التفسير الكبير ٣٠/ ٢١٥،الآلوسي في تفسيره١٥/ ١٥٠.وهو رأى مردور لمخالفته إجماع المفسرين وقال العلامة أبى السعود – رحمه الله- وأما ما قيلَ : من أنَّ المعنى فلا أقسمُ إذاً لأمرٍ أوضحَ من أنْ يحتاجَ إلى قسمٍ فيأباه تعيينُ المقسَمِ به وتفخيمُ شأنِ القسمِ بهإرشاد العقل السليم ٢٧٦/٦،وذكر الطبري في تفسيره إجماع الحجة على أن معنى الآية: أقسم ٢٤/ ٤٨.

(٢) التفسير البسيط ٤٧٢/٢٢، وينظر الإجماع المذكور في الهامش السابق.

(٣) تنظر هذه القاعدة فى: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى ١٩/١، تفسير الطبرى ١٧٣/٢،قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربى ٢٩٥/١.

٣- وقيل: هو {بَلَى قَادِرِينَ} [القيامة : ٤] ، ويروى عن الحسن البصري.

٤- وقيل: المعنى على نفي القسم ، والمعنى : إنّي لا أقسم على شيء ، ولكن أسألك أيحسب الإنسان.

والراجح الرأى الأول من هذه الأقوال وبقيتها مردودة لا تصح.

قال الشيخ السمين: - رحمه الله- معقبا على الأقوال الثلاثة الاخيرة: وهذه الأقوالُ شاذَّةٌ مُنْكَرةٌ لا تَصِحُّ عن قائليها لخروجِها عن لسانِ العرب، وإنما ذكرْتُها للتنبيهِ على ضَعْفِها(١).

"وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ"

واختلف العلماء في { النفس اللوامة } هل هى ممدوحة أو مذمومة:

فقال الحسن هي { اللوامة } لصاحبها في ترك الطاعة ونحوه ، فهي على هذا ممدوحة، ولذلك أقسم الله تعالى بها .

وقيل : النفس المتقية التي تلوم في يوم القيامة على تقصيرها في التقوى. وهو الراجح لأنها الله عزوجل أقسم بها والقسم لا يكون إلا بعظيم. ووصفه - سبحانه - النفس باللوامة بصيغة المبالغة للإشعار بأنها كريمة مستقيمة تكثر من لوم ذاتها، وتحض صاحبها على المسارعة في فعل الخيرات.

(١) ينظر: الدر المصون ٥٦٥/١٠، اللباب لابن عادل ٥١٢١/١، تفسير القرطبي ٩٣/١٩، البحر المحيط٣٤٣/١٠، روح المعانى ١٥٢/١٥.

وقال ابن عباس: هي الفاجرة الجشعة { اللوامة } لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا وأعراضها فهي على هذا ذميمة، فتكون اسم جنس لأنها تلوم على الخير وعلى الشر.

وقيل: المراد نفوس الأشقياء حين شاهدت أحوال القيامة وأهوالها ، فإنها تلوم نفسها على ما صدر عنها من المعاصي، ونظيره قوله تعالى: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ [الزمر ٥٦].

وقيل: المراد نفس آدم لأنها لم تزل اللائمة له على فعله الذي أخرجه من الجنة [١].

واختلف العلماء في المراد بالآيةعلى قولين:

الأول: هو قسم أقسم ربنا بيوم القيامة، وبالنفس اللوّامة.وهو قول ابن عباس وقتادة وهو الراجح.

والثانى: أنه- تعالى- أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوّامة. وقالوا: معنى قوله:(وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) ولست أقسم بالنفس اللوّامة.

قال الحسن البصرى: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوّامة[٢].

---

(١) تنظر هذه الأقوال في: تفسير الطبرى ٤٦٩/٢٣، تفسير الرازى ٧٢٠/٣٠، تفسير ابن كثير ٢٧٥/٨، تفسير البغوى ٢٧٩/٨، تفسير القرطبى ٩٢/١٩،تفسير ابن عطية٤٥٥/٦،تفسير البحر المحيط ٣٤٣/١٠البيضاوى ٤١٩/٥، تفسير السمعانى ورجح المؤمنة ٦ /١٠٢، تفسير النكت والعيون ١٥١/٦، تفسير الشوكانى واختار الأول والثانى وضعف أنها المذمومة والكافرة ٣٦١/٧، التحرير والتنوير وقصر اللوامة على المؤمنة فقط ٣١٤/٢٩،

(٢)رجح الإمام الطبرى القسم بهما ٤٦٨/٢٣، وابن كثير قال: والصحيح أنه أقسم بهما جميعا كما قاله قتادة رحمه الله، وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جُبَير، واختاره ابن جرير. ٢٧٥/٨، والقرطبى رجح القسم بهما ٩٢/١٩، الشوكانى نسبه للجمهور ورجحه ٣٦١/٧.

"أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ"

بعد أن أقسم سبحانه بيوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين يخبر أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: { أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ } بعد الموت، كما قال في الآية الأخرى: { قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ }(يس-٧٨) ؟

والمعنى أيظنّ ابن آدم أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة للإحياء والبعث والحساب يوم القيامة.

والمراد بالإنسان هنا :

١- الكافر المكذب للبعث على الإطلاق فتكون أل للجنس .

٢- إنسان معين وهو: "عدى بن أبى ربيعة" لما جاء في سبب نزولها أنها نزلت في عدي بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثني عن يوم القيامة متى تكون ، وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؛ فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أأمن به ، أو يجمع الله العظام ؟ ! ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة ، والأخنس بن شريق" .

وقال ابن عباس: يريد الإنسان هاهنا أبا جهل، فقدنزلت فيه الآية حين أنكر البعث بعد الموت[١]. وعلى هذا أل في " الإنسان" للعهد.

(١) ينظر: تفسير الكشاف ٦٥٩/٤، تفسير القرطبى ٩٣/١٩، تفسير الثعلبي ٨٢/١٠، البحر المحيط ٣٤٤/١٠،تفسير الآلوسي ١٥٢/١٥، التحرير والتنوير ٣١٥/٢٩.

وذكر الله – عزوجل– العظام وأراد نفسه؛ لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله: "قال من يحيي العظام وهي رميم" (يس–٧٨) [١].

وجيء في الآية بحرف {لن} الدال على تأكيد النفي لحكاية؛ اعتقاد المشركين استحالة جمع العظام بعد رمامها وتشتتها[٢].

" بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ"

للعلماء فى تفسير الآية قولان:

الأول: أنه نبه بالبنان على بقية الأعضاء ، أي نقدر على أن نسوي بنانه بعد صيرورته ترابا كما كان، وتحقيقه أن من قدر على الشيء في الابتداء قدر أيضا عليه في الإعادة ، فكأنه قيل : نقدر على ضم سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت ، ومن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر،والمعنى : ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه، بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها، فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر[٣].وعلى هذا المعنى يكون ذلك عند البعث.

---

(١) ينظر: تفسير الطبرى٥٠/٢٤، تفسير البغوى ٢٨٠/٨ ، تفسير القرطبى ٩٣/١٩، تفسير الرازى ٧٢٢/٣٠ وقال جمع من الأصوليين : بل المراد بالإنسان المكذب بالبعث على الإطلاق. البحر المحيط ٣٤٤/١٠، زاد المسير ٩٧/٦ ، تفسير أبى السعود ٤١٣/٦، غرائب القرآن للنيسابورى٤٠٠/٦، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٤٣٢/٢، تفسير الشوكانى ٣٦٢/٧، وقال المشهور أن المراد من الإنسان إنسان معين.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣١٠/٢٩.

(٣) ينظر: تفسير ، تفسير البغوى ٢٨٠/٨، القرطبي ٩٤/١٩ ونسبه كل منهما للزجاج وابن قتيبة.

والثاني: بَلَى قادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ أيأن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحداً ، كخف البعير وحافر الحمار صفيحة واحدة لا شقوق فيها ، فلا يقدر على أن ينتفع بها في الأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما ، ولكنا فرقنا أصابعه لينتفع بها وحسَّنا خلقه.

عن ابن عباس- رضى الله عنه- قال: {بلى قادرين على أن نسوي بنانه} لو شاء لجعله كخف البعير أو كحافر الحمار ولكن جعله الله خلقا سويا حسنا جميلا تقبض به وتبسط به يا ابن آدم. وعن الحسن رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية {بلى قادرين على أن نسوي بنانه} فقال : إن الله أعف مطعم ابن آدم ولم يجعله خفا ولا حافرا فهو يأكل بيديه فيتقي بها وسائر الدواب إنما يتقي الأرض بفمه(١).وعلى هذا المعنى يكون ذلك توعد وتهديد .

وكلا القولين يجوز حمل الآية عليه فيكون المراد من الآية التهديد للمكذب بالبعث بتسوية بنانه في الدنيا وجعل أصابعه شيئا واحدا كخف البعير فلا ينتفع بها، وهو الظاهر والموافق لسياق الآيات، ويجوز أن يكون ذلك إخبار من الله بقدرته على جمع صغار العظام وتسويتها كما كانت في الدنيا وإعادتها مرة أخرى عند البعث لأنه سبحانه لا يعجزه شئ.

---

(١)ينظر:تفسير الطبرى ٥٠/٢٤، البغوى ٢٨١/٨، القرطبي ٩٤/١٩، ورجح الأول ونسب الثانى لجمهور المفسرين وكذا رجح الأول ابن عطية في تفسيره ٤٥٥/٦ وقال: هو أحرى مع رصف الكلام، الرازى في تفسيره ٧٢٢/٣٠ وقال: القول الأول أقرب إلى الصواب. ووافقهم أبو حيان في الترجيح ٣٤٥/١٠.

إعجاز علمى في الآية الكريمة

الحديث عن تسوية البنان يشير إلى حقيقة علمية لم يعرفها العلماء إلا بعد مئات السنين من نزول القرآن الكريم.

وفِي هذا يقول الدكتور مصطفى مسلم مجليا لهذا الأمر:

لقد فهم علماء السلف رضوان الله عليهم الآيات الكريمة : (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ {٣} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ)[سورة القيامة:٣]،(والأرض بعد ذلك دحاها)[النازعات:٣٠]، غير ما فهمه العلماء المتأخرين بعد تطور العلوم الطبية والفلكية ولم يبعد عن الصواب من قال: (الزمن خير مفسر للقرآن). وما ذاك إلا لأن القرآن كتاب الإنسانية الخالدة الذي لا يستطيع جيل من الأجيال استفراغ ما فيه من كنوز العلوم والحكم والحقائق.

وهذه الآية الكريمة من أقوى الأدلة على جمع أجزاء الإنسان المتفرقة، وأبلغ دليل في تصوير القدرة الإلهية على ذلك؛ إذ تؤكد عملية جمع العظام، بما هو أرقى من مجرد جمعها، وهو تسوية البنان، وتركيبه في موضعه كما كان، وهي كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه، وإكماله بحيث لا تضيع منه بنان، ولا تختل عن مكانها؛ بل تُسوَّى تسويةً كاملة، مهما صغُرت ودقَّت! وبهذا يُعلَم سرُّ تخصيص لفظ { البنان} بالذكر- هنا- دون غيره.

وقد كشفت العلوم الحديثة عن هذا السر؛ إذ تبين أن البشرية بأسرها، قد ميَّز الله العليم القادر بين جميع أفرادها بميزة، لا يمكن أن يشترك فيها اثنان منهم، حتى الأب مع ابنه، تلك الميزة هي اختلاف البنان، تلك الخطوط

الدقيقة في أنامل كل إنسان. فثبت بذلك أن أصابع الإنسان هي التي تحدد شخصيته، وأن بصمات الأصابع هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الشخصية، ونشأ عن ذلك علم، سمِّي:{ علم تحقيق الشخصيَّة }.

فإذا كان الأمر كذلك، وقد أخبر تعالى أنه قادر على جمع عظام الإنسان وإعادة بنان كل فرد بهيئته وشكله وصورته، فكيف يستبعد الجاحد على من هذه قدرته، إعادته إلى الحياة مرة أخرى

وبالتالي فالآية نصٌّ صريحٌ في جمع الأجزاء المتفرقة، حتى أصغر وأدق جزء منها، ودليلٌ على أن بدن الإنسان يتفرق، ولا ينعدم.

وهكذا نرى أن قوله تعالى:" أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ "يدل على معنى، لم يكشف العلم سره، إلا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، حينما عرف أن لكل بنان بصمة خاصة، تختلف فيها اتجاهات خطوطها اختلافًا واضحًا بين فرد وآخر. وصدق رب العزة حين قال:

" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "(فصلت: ٥٣)[١].

"بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ"

في الآية قولان:

أحدهما : يكذب بما أمامه من البعث والحساب ، قاله ابن عباس وعلى هذا يكون المراد بالإنسان الكافر .عن ابن عباس–رضى الله عنه– قوله:(بَلْ

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن د مصطفى مسلم– الناشر: دار القلم – دمشق– الطبعة: الثالثة، سنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، مناهل العرفان للزرقانى ٢٦/١، الأساس لسعيد حوى ٦٢٧٥/١١، جواهر البيان في تناسب سور القرآن لأبى الفضل عبد الله الغمارى صـ ١٣٧.

يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) يقول: الكافر يكذّب بالحساب.وهذا هو الأظهر من المراد؛ ولهذا قال بعده { يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ } ؟أي: يقول متى يكون يومالقيامة ؟ وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ}[سبأ٢٩-٣٠]

والثاني : يقدِّم الذنب ويؤخِّر التوبة ، ويقول : سوف أتوب ،سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله، قاله سعيد بن جبير . فعلى هذا يكون المراد بالإنسان : المسلم(١).

والراجح أن المراد بالإنسان الكافر المكذب بالبعث وهذا يوافق القاعدة الترجيحية التى تقول "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده(٢).

و{ أَمَامَهُ } ظرف مكان ، استعير هنا للزمان المستقبل ، فيفيد الاستمرار والضمير للإنسان فيخبر الله عن حال الفاجر، بأنه يريد ليفجر في المستقبل ، على أن إرادته وحسبانه هما عين الفجور.

وأعيد لفظ {الْأِنْسَانُ} إظهارا في مقام الإضمار لأن المقام لتقريعه والتعجيب في ضلاله.

---

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٥٣/٢٤،زاد المسير٩٨/٦، تفسير ابن كثير ٢٧٧/٨،ورجح الكافر، تفسير ابن أبى زمنين ٢٨٧/٢ ، تفسير البغوى ٢٨١/٨،تفسير القرطبى ٩٤/١٩، تفسير السمعانى ١٠٣/٦، مشكل القرآن ٢٠٧/١، تفسير الآلوسى ١٥٣/١٥، التحرير والتنوير٣١٧/٢٩.

(٢) ينظر: تفسير ابن جزى الكلبى ١٩/١.

وقيل لأن أَمامَهُ ظرف مكان استعير هنا للزمان المستقبل فيفيد الاستمرار وفي إعادة المظهر ثانيا ما لا يخفى من التهديد والنعي على قبيح ما ارتكبه وأن الإنسانية تأبى هذا الحسبان والإرادة وعود ضمير أَمامَهُ على هذا المظهر هو الأظهر(١).

"يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ"

يقول متى يكون يوم القيامة الذى تهددنا به، والسؤال هنا سؤال استهزاء واستبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى: { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ } [سبأ : ٢٩ ، ٣٠] .فهو يسأل متى يكون! على وجه الإنكار والتكذيب والاستبعاد والاستهزاء. فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب ، ولكن يأثم لما بين يديه.

و{أيان} اسم استفهام بمعنى "متى" ويستفهم بها عن الزمان البعيد والسؤال بها هنا يُلْمِح إلى استبعادهم يوم القيامة وإنكارهم لوقوعه(٢).

ثم إنه تعالى ذكر علامات القيامة جوابًا على هذا السؤال المستهزئ ، الذي سأله هذا الشقي ، منكرًا ليوم البعث ، مستهزئًا به! وقد جاء الرد عليه بيوم القيامة كله ، وبما يطلع به على الناس من شدائد وأهوال، فعدل عن أن يجابوا بتعيين وقت ليوم القيامة إلى أن يهددوا بأهواله، لأنهم لم يكونوا

(١) ينظر: روح المعانى ١٥٣/١٥، حاشية الشهاب ٢٨٠/٨.

(٢) ينظر: تفسير القرطبى ٩٥/١٩، المحرر الوجيز ٤٥٥/٦،تفسير ابن كثير٢٧٧/٨،البحر المحيط ٣٤٥/١٠، تفسير الشوكانى ٣٦٣/٧،التحرير والتنوير ٣١٨/٢٩، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوى ٢٠٠/١٥.

جادين في سؤالهم فكان من مقتضى حالهم أن ينذروا بما يقع من الأهوال عند حلول هذا اليوم مع تضمين تحقيق وقوعه، فقال: "فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"....الآيات(١).

"فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ"

معناه حار وفزع والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور(٢).

وذكر البصر مع ذكر الشمس والقمر له سببه ومناسبته، فإن البصر يعمل مع وجود الشمس والقمر، أي: مع النور، فإذا لم يكن ثمة نور فلا يعمل شيئاً كما قال تعالى: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ) [البقرة- ١٧].

وفي هذا اليوم قد تعطل البصر كما تعطل الشمس والقمر، فالبصر برق، والقمر خسف، وجمع الشمس والقمر.

ثم انظر كيف قال: (برق البصر) ولم يقل (عمي) أو نحو ذلك، فإن المراد تعطيله مع وجوده، كما فعل بالشمس والقمر، فإنه لم يزلهما ويذهبهما، وإنما عطلهما فهو تناسب لطيف(٣).

---

(١)ينظر: التحرير والتنوير ٣١٨/٢٩، التفسير القرآنى للقرآن لعبد الكريم الخطيب ١٣١٦/١٥.

(٢)ينظر: تفسير ابن كثير ٢٧٧/٨.

(٣)ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل السامرائى ٢٠٧/١.

"وَخَسَفَ الْقَمَرُ"

←أي: ذهب ضوؤه.وقد ذكر العلماء قولين في الآية:

←الأول: أن يكون المراد من خسوف القمر ذهاب ضوئه كما نعقله من حاله إذا خسف في الدنيا.

← والثانى: أن يكون المراد ذهابه بنفسه كقوله : فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدارِهِ الْأَرْضَ [القصص-٨١].فالخسوف في الدنيا إلى انجلاء ، بخلاف الآخرة فإن لا يعود ضوءه(١).

"وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"

اختلف العلماء في تحديد المراد من الآية على أقوال:-

الأول: قال ابن عباس وابن مسعود: جمع بينهما أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران. وقرأ ابن مسعود : "وجُمع بين الشمس والقمر"(٢).

الثانى: قيل يجمع بينهما في ذهاب الضياء، وقيل : تجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار.

الثالث: قال عطاء بن يسار: يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر أو في النار فيكونان نار الله الكبرى(٣).

---

(١) ينظر: تفسير الرازى ٧٢٤/٣٠، تفسير ابن كثير ٢٧٧/٨، تفسير اللباب لابن عادل ٥١٢٤/١.
(٢) قراءة شاذة تنظر فى: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكى بن أبى طالب ٧٨٦٥/١٢، تفسير القرطبى ٩٧/١٩،تفسير ابن كثير ٢٧٧/٨،تفسير الشوكانى ٣٦٣/٧، معجم القراءات لعبد الكريم الخطيب ١٨٧/١٠.
(٣) ينظر: المحرر الوجيز٤٥٦/٦، تفسير القرطبى ٩٧/١٩،تفسير الرازى ٧٢٤/٣٠، تفسير البغوى ٢٨٢/٨، تفسير ابن كثير ٢٧٧/٨، تفسير اللباب لابن عادل ٥١٢٤/١، البحر المحيط ٣٤٦/١٠، تفسير الماوردى ١٥٣/٦، تفسير الآلوسى ١٥٥/١٥،تفسير الشوكانى ٣٦٣/٧.

وعن سر التعبير بقوله {وَجُمِعَ } دون {جمعت} ذكر العلماءالآتى:-

←قال الفراء : ولم يقل جمعت ؛ لأن المعنى جمع بينهمافي ذهاب نورهما .

←وقال أبو عبيدة : هو لتغليب المذكر على المؤنث .

←وقال الكسائي: هو محمول على المعنى، كأنه قال الضوءان، أو النيران .

← وقال المبرد : التأنيثغير حقيقي.{ وَجُمِعَ الشمس والقمر } أي : ذهب ضوؤهما جميعاً ، ولم يقل « جمعت » لأن التأنيث مجازيّ [(١)].

"يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ"

إذا عاين ابنُ آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذ يريد أن يفر ويقول: أين المفر؟ أي: هل من ملجأ أو موئل ؟ قال الله تعالى: { كَلا لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ } أي لا نجاة.

وهذه الآية كقوله: { مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ } [الشورى-٤٧] أي: ليس لكم مكان تتنكرون فيه، وكذا قال هاهنا { لا وَزَرَ } أي: ليس لكم مكان تعتصمون فيه؛ ولهذا قال:

{ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ } أي: المرجع والمصير.

والمعنى "أين المفر" من الله استحياء منه، أو "أين المفر" من جهنم حذرا منها.

ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين :

---

(١) ينظر: معانى القرآن للفراء ٢٠٨/٣، تفسير القرطبى ٩٧/١٩، غرائب القرآن للنيسابورى ٤٠١/٦، تفسير الشوكانى ٣٦٣/٧.

←أحدهما : أن يكون من الكافر خاصة في عرضة القيامة دون المؤمن ؛ لثقة المؤمن ببشرى ربه.

← الثاني : أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها(١).

"كَلاَّ لا وَزَرَ"

معنى الآية أنه لا شيء يعتصم به من أمر اللّه، فليس هناك فرار ينفع صاحبه، لأنه لا ينجيه فِراره، ولا شيء يلجأ إليه من حصن ولا جبل ولا معقل، من أمر الله الذي قد حضر.والقول في الآية يحتمل وجهين :

أحدهما : من قول الله للإنسان إذا قال (أين المفر) قال الله له (كلاّ لا وَزَرَ)

الثاني : من قول الإنسان إذا علم أنه ليس له مفر قال لنفسه (كلا لا وَزَرَ)ويحتمل أن يكون من تمام قول الإنسان كأنه بعد أن يقول أَيْنَ الْمَفَرُّ يعود على نفسه فيستدرك ويقول كَلَّا لا وَزَرَ(٢).

قال العلامة البقاعى – رحمه الله–:

ولما كان ذلك اليوم يوم انقطاع الأسباب ، قال نافياً بما سأل عنه بأداة الردع : (كلا) أي لا يقال هذا فإنه لا سبيل إلى وجود معناه وهو معنى) لا وزر) أي ملجأ ومعتصم ولا حصن ولا التجاء واعتصام ، وكون هذا من

(١) ينظر: تفسير القرطبى ٩٧/١٩، تفسير ابن كثير ٢٧٧/٨، تفسير الماوردى ١٥٣/٦، تفسير اللباب لابن عادل ٥١٢٤/١.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ٥٨/٢٤، تفسير البغوى ٢٨٢/٨، تفسير الماوردى١٥٤/٦، تفسير الآلوسى ١٥٥/١٥،تفسير الشوكانى ٣٦٣/٧.

كلام الإنسان رجوعاً من طبعه إلى عقله أقعد وأدل على الهول لأنه لا يفهم أنه بعد أن سأل من عظيم الهول نظر في جملة الأمر فتحقق أن لا حيلة بوجه أصلاً ، فقال معبراً بالأداة الجامعة لمجامع الردع [١].

"إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ"

المنتهى ، المرجع والمصير.

يقول تعالى ذكره: إلى ربك أيها الإنسان يومئذ الاستقرار، وهو الذي يقرّ جميع خلقه مقرّهم.{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} .

إلى ربِّك يومئذٍ المُسْتَقَرُّ (فيه وجهان :

←أحدهما : أن المستقر المنتهى ، قاله قتادة .

←الثاني : أنه استقرار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، قاله ابن زيد.

←وذكر {يومئذ} مع أن قوله: {إِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ} الخ مغن عنه للاهتمام ذكر ذلك اليوم الذي كانوا ينكرون وقوعه ويستهزئون فيسألون عن وقته،{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} فهو كلام من جانب الله تعالى خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا بقرينة قوله: {يَوْمَئِذٍ} ، فهو اعتراض وإدماج للتذكير بملك ذلك اليوم.

←وفي إضافة "رب" إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم إيماء إلى أنه ناصره يومئذ بالانتقام من الذين لم يقبلوا دعوته.

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعى ٢٤٦/٨.

←وتقديم الجار والمجرور يفيد القصر والاختصاص، أي إلى ربك لا إلى ملجأ آخر. والمعنى: لا ملجأ يومئذ للإنسان إلا منتهيا إلى ربك، وهذا كقوله تعالى: {وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [آل عمران: ٢٨].

←وتقديم (إلى ربك) على (يومئذ) له سببه ذلك أن الإنسان في تلك الحالة، يبحث عن مكان يفر إليه ويستقر فيه، فقدم له ما يبحث عنه، وقال له: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} لأنه هو الأهم، وهو المقصود(١).

"يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ"

اختلفت أقوال العلماء في المراد ب"الإِنسَانُ"، والمراد "بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ" ووقت هذا الإنباء، وتفصيل ذلك سأوضحه فيما يلى:

أولا: المراد ب "الإِنسَانُ" الفاجر

قال الطاهر ابن عاشور –رحمه الله: وينبغي أن يكون المراد ب {الإنسان} الكافر جريا على سياق الآيات السابقة لأنه المقصود بالكلام وإن كان كل إنسان ينبأ يومئذ بما قدم وأخر من أهل الخير ومن أهل الشر قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ} [آل عمران: ٣٠] الآية. واختلاف مقامات الكلام يمنع من حمل ما يقع فيها من الألفاظ على محمل واحد، فإن في القرآن فنونا من التذكير لا تلزم طريقة واحدة. وهذا مما يغفل عن مراعاته بعض المفسرين في حملهم معاني الآيات المتقاربة المغزى على محامل متماثلة(٢) ا.هـ .

---

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٦٠/٢٤، تفسير الماوردى١٥٤/٣، التحرير والتنوير ٣٢٠/٢٩، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل السامرائى ٢٠٩/١.

(٢) ينظر:التحرير والتنوير ٣٢٠/٢٩، تفسير الآلوسى١٥٥/١٥ قال الآلوسى: الظاهر أنه عنى بالإنسان الفاجر.

←وقيل المراد ب "الإِنسَانُ" العموم برًا كان أو فاجرًا والمعنى: يخبر ابن آدم برا كان أو فاجرا بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى: { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف : ٤٩] (١).

ثانيًا: المراد "بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ" فيه خمسة أقوال:-

←أحدها : ما قدم قبل موته من خير أو شر يعمل به بعد موته ، قاله ابن عباس وابن مسعود .

←الثاني :بما قدم من فرض وأخر من فرض ، قاله الضحاك .

←الثالث : بأول عمله وآخره ، قاله مجاهد .

←الرابع : بما قدم من الشر وأخر من الخير، قال عكرمة .

←الخامس : ما قدم من معصية ، وأخر من طاعة، قاله قتادة(٢).

والأقوال السابقة كلها يصح تفسير الآية بها.

قال الطبرى- رحمه الله-: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكلّ ما قدّم أمامه مما عمل من خير أو شرّ في حياته، وأخَّر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدّم وأخَّر، كذلك ما قدّم من عمل عمله من خير أو شرّ، وأخَّر بعده من عمل كان عليه فضيَّعه، فلم يعمله مما قدّم وأخَّر، ولم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض، فكلّ ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة.

---

(١) ينظر: القرطبى١٩/٩٨،اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١/ ٥١١٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى٢٤/٦٢، تفسير القرطبى ١٩/٩٨،البحر المحيط ٨/٢٩٠، تفسير ابن كثير ٨/٢٧٧، تفسير اللباب لابن عادل ١/٥١٢٤، المحرر الوجيز٦/٤٥٦، تفسير الماوردى ٦/١٥٣،زاد المسير ٦/٩٨،تفسير الشوكانى ٧/٣٦٤.

وقال أبو حيان: والظاهر حمله على العموم ، أي يخبره بكل ما قدم وكل ما أخر مما ذكره المفسرون ومما لم يذكروه(١).

ثالثًا: وقت هذا الإنباء للعلماء فيه قولان:

١-الأول وهو الأظهر أن هذا الإنباء يكون يوم القيامة عند العرض والمحاسبة ووزن الأعمال

٢-الثانى يجوز أن يكون عند الموت وذلك أنه إذا مات بين له مقعده من الجنة والنار(٢).

"بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"

للعلماء في الآية أربعة تأويلات :

←أحدها : شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى: { اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء : ١٤].

←الثاني : أن جوارحه شاهدة عليه بعمله ، قاله ابن عباس ، كما قال تعالى : (اليوم نَخْتِمُ على أفواههم وتُكَلِّمنا أيْديهم وتشْهدُ أرجُلُهم بما كانوا يكْسِبون) .

←الثالث : معناه بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه فيما يستحقه لها وعليها من ثواب وعقاب، ويقال: إن في الإنجيل مكتوبا: يا ابن آدم، تُبصر القَذَاة في عين أخيك، وتترك الجِذع في عينك لا تبصره.

---

(١) ينظر: تفسير الطبرى٦٢/٢٤، البحر المحيط ٢٩٠/٨.

(٢) ينظر: تفسير الرازى١٩٥/٣٠، ورجح الأول وقال والأظهر أن هذا الإنباء إنما هو في يوم القيامة، وكذا رجحه القرطبى في تفسيره ٩٩/١٩، النيسابورى في غرائب القرآن٤٠٢/٦، وصديق خان في تفسيره فتح البيان ٤٣٩/١٤.

←الرابع : المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشرّ[١].

"وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ" للعلماء في الآية قولان:

←الأول: أنه الإدلاء بالحجة والاعتذار من الذنبعن ابن عباس:(وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) يعني الاعتذار،ألم تسمع قوله: { لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ} [غافر : ٥٢] وقال { وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ } [النحل : ٨٧]{ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ } [النحل : ٢٨] وقولهم { وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ }[الأنعام : ٢٣]وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء.

ورجح هذا الرأى الإمام الطبرى قال –رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معناه: ولو اعتذر لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل.

← والثانى: "ولو ألقى معاذيره" يعني: ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب. وأهل اليمن يسمون الستر: معذارًا، وجمعه: معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه[٢].

ومعنى الإلقاء: القول، كما قال تعالى: "وألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون" (النحل–٨٦).

---

(١) ينظر: تفسير الطبرى٦٢/٢٤، تفسير الماوردى ١٥٣/٦ــتفسير البغوى٢٨٣/٨،تفسير ابن كثير ٢٧٧/٨، تفسير الشوكانى ٣٦٤/٧، التحرير والتنوير٣٢٢/٢٩.

(٢) رجح الرأى الأولالطبرى في تفسيره ٦٤/٢٤، وكذا القرطبى فىتفسيره ٩٨/١٩،الشوكانى تفسيره ٣٦٤/٧،وتنظر هذه الأقوال فى: تفسير السمعانى١٠٥/٦، تفسير ابن كثير ٢٧٨/٨، تفسير الماوردى ١٥٣/٦، الدر المنثور ١٠٦/١٥.

المطلب السابع : من لطائف الآيات

اشتملت الآيات على بعض اللطائف والدقائق منها:-

← **اللطيفة الأولى**:-

قال الخازن-رحمه الله-: فإن قلت المقسم به هو يوم القيامة ، والمقسم عليه هو يوم القيامة ، فيصير حاصله أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه إشكال.

قلت إن المحققين قالوا : القسم بهذه الأشياء قسم بربها في الحقيقة ، فكأنه قال أقسم برب القيامة، وقيل للّه تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه(١).

← **اللطيفة الثانية**:-

عن سر إعادة لفظ "الإنسان": أعيد لفظ {الْأِنْسَانُ} إظهارًا في مقام الإضمار لأن المقام لتقريعه والتعجيب من ضلاله.

← **اللطيفة الثالثة**:-

عن سر تعدية الفعل « يريد » باللام التي تفيد التعليل ــ مع أن الفعل يتعدى إلى مفعوله بغير حرف؛فِيهذا إشارة إلى أن هذه الإرادة إرادة عاملة ، وأنها ليست مجرد أمنية ، أو رغبة ، أو خاطرة تطرق الإنسان ، ثم لا تلبث أن تذهب غير مخلفة أثرا.

فالإرادة هنا إرادة مشدودة إلى عزم ، وتصميم ، على التنفيذ .. وفِي طريق التنفيذ تقوم عقبات ، فيعمل صاحب هذه الإرادة على تذليلها ، ويحتال

---

(١) تفسير الخازن٤/٣٧٠، تفسير الرازى ٣٠/٧٢١، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١/٥١٢٢.

لإمضائها .. ولهذا ضمّن الفعل « يريد » معنى الفعل « يحتال »وهذا يعنى أن الإنسان يغالب قوة متحدية لإرادته وهى الفطرة المودعة فيه ، فلا يملك لها دفعا إلا بالمراوغة والاحتيال [١].

المطلب الثامن : المعنى الإجمالي

افتتح الله – عز وجل: السورة الكريمة بالقسم بيوم القيامة تأكيداً لوقوعه وتعظيما لشأنه، وأقسم بالنفس اللوامة تنويها بشرفها ومكانتها عند الله وهذا القسم للتأكيد على وقوع هذا اليوم، ورد على من ينكر وجوده، ثم يدلل سبحانه على قدرته القادرة وإرادته النافذة بأنه قادر على ما هو أعظم من جمع العظام وهو "تسوية البنان نقدر على أن نجمع بعضها إلى بعض فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها فكيف بكبار الأعضاء، فنبه سبحانه بالبنان، وهي الأصابع على بقية الأعضاء، ثم ينتقل لبيان أن من دوافع إنكار الكفار للبعث والنشور انغماسهم في الشهوات وإرادتهم للفجور، فتراهم يبادرون إلى إنكار هذا اليوم ونسيانه ويستبعدونه ويستهزؤون بمن يذكرهم بهم ،ثم إنه تعالى ذكر علامات القيامة جوابًا على هذا السؤال المستهزئ، الذي سأله هذا الشقي ، منكرًا ليوم البعث ، مستهزئًا به! وقد جاء الرد عليه بيوم القيامة كله، وبما يطلع به على الناس من شدائد وأهوال، فعدل عن أن يجابوا بتعيين وقت ليوم القيامة إلى أن يهددوا بأهواله، لأنهم لم يكونوا جادين في سؤالهم فكان من مقتضى حالهم أن ينذروا بما يقع من الأهوال عند حلول هذا اليوم مع تضمين تحقيق وقوعه، فقال: "فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ" ....الآيات، وعند حدوث هذه الأهوال

(١)تفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ١٣١٥/١٥.

الكل سيفزع ويخاف ويبحث عن ملجأ يلتجئ إليه فيوضح المولى تبارك وتعالى أنه لا ملجأ من الله ولا منجى إلا إليه فمستقر الخلق جميعا عنده سبحانه، وعند ذلك كلٌّ ينبؤ بما قدم أو أخر من أعمال صالحة أو فاسدة، وسيكون في هذا اليوم الشاهد عليه نفسه وجوارحه فلا يستطيع إنكارًا لأعماله أو تكذيبًا للشهود قال تعالى" اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا[الإسراء-١٤].

المطلب التاسع : ما ترشد إليه الآيات

١- أقسم اللّه سبحانه بيوم القيامة تعظيما لشأنه، كما أنه أقسم أيضا بالنفس الصالحة التي تلوم صاحبها إن قصر في الخير أو فعل الشر تنويها بشأنها وإخلاصها، وناسب القسم بها بعد القسم بيوم القيامة لأن في هذا اليوم تظهر حقيقة النفوس ويثاب كل إنسان أو يعاقب حسب ما يعلمه الله عنه لا حسب ما يظهر للخلق.

٢- القسم بيوم القيامة والنفس اللوامة قسم بربها على الحقية وجواب القسم محذوف وهو البعث الذى أنكره المشركون.

٣- إنكار الكفار للبعث وظنهم عدم قدرة الله على جمع العظام وإعادتها مرة أخرى وقد رد الله عليهم بأنه قادر على ما هو أعظم من جمع العظام وهو: تسوية البنان.

٤- من دوافع إنكار الكفار للبعث والنشور انغماسهم في الشهوات وإرادتهم للفجور، فتراهم يبادرون إلى إنكار هذا اليوم ونسيانه حتى لا يعكر عليهم صفو حياتهم الفانية.

٥- من أهوال القيامة بروق البصر وخسوف القمر والجمع بين الشمس والقمر وعندها يبحث الكافر عن مهرب أو ملجأ فلا يجد سوى الله إليه المرجع والمصير.

٦- يخبر ابن آدم يوم القيامة ، برّا كان أو فاجرا بما قدم من خير أو شر أو أخر منهما كما قال تعالى: { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف : ٤٩]

٧- الإنسان خير شاهد على نفسه، فهو حجة بيّنة على أعماله، حتى ولو أنكر واعتذر، فقال: لم أفعل شيئا، فإن عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه، فلو اعتذر وجادل عن نفسه، فعليه شاهد يكذّب عذره.

المبحث الثاني

اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بضبط القرآن وحفظه

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) {القيامة ١٦-١٩}

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

افتتح الله –عزوجل– السورة الكريمة بالقسم بيوم القيامة والرد على منكريه ببيان بعض أحوال ذلك اليوم وأهواله وحال المكذبين في هذا اليوم، ثم ذكر حال النبيﷺ وحرصه على آيات الله التي كذبوا بها وأعرضوا عنها وشتان بين الحالين.

وقد ذكر العلماء وجوها عديدة لمناسبة هذه الآيات لما قبلها:

قال أبو حيان (رحمه الله): أنه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضا عن آيات اللّه تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ، ذكر حال من يثابر على تعلم آيات اللّه وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها ، فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات اللّه ومن يرغب عنها[1].

قال الرازي (رحمه الله):ومنها : أن أول السورة لما نزل إلى قوله : { وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ } صادف أنه صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل ، وحرَّك به لسانه من عجلته خشية من تفلته، فنزلت :

(١)البحر المحيط ١٠/٣٥٠، تفسيرالمراغي ٢٩/١٥٠.

{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ } إلى قوله : { ثم انا علينا بيانه } ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدأ به .

قال الفخر الرازي : ونحوه ما لو ألقى المدرِّس على الطالب مثلاً مسألة ، فتشاغل الطالب بشيء عرض له فقال له : ألق إليّ بالك ، وتفهم ما أقول ، ثم كمَّل المسالة ، فمن لا يعرف السبب يقول : ليس هذا الكلام مناسب للمسالة ، بخلاف من عرف ذلك(١).

وقال الطاهر ابن عاشور(رحمه الله): هذه الآية وقعت هنا معترضة. والذي يلوح لي في موقع هذه الآية هنا دون أن تقع فيما سبق نزوله من السور قبل هذه السورة: إن سور القرآن حين كانت قليلة كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخشى تفلت بعض الآيات عنه فلما كثرت السور فبلغت زهاء ثلاثين حسب ما عده سعيد بن جبير في ترتيب نزول السور، صار النبي صلى الله عليه وسلم يخشى أن ينسى بعض آياتها، فلعله صلى الله عليه وسلم أخذ يحرك لسانه بألفاظ القرآن عند نزوله احتياطا لحفظه وذلك من حرصه على تبليغ ما أنزل إليه بنصه. فلما تكفل الله بحفظه أمره أن لا يكلف نفسه تحريك لسانه، فالنهي عن تحريك لسانه نهي رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة(٢).

(١) تفسير الرازي ١٩٦/٣٠، فتح الباري٦٨٠/٨، محاسن التأويل٣٦٦/٩ .
(٢) التحرير والتنوير ٣٢٤/٢٩، وينظر أيضا: الكشاف٦٦٢/٤، تفسير ابن جزى ٢٥١٥/١، تفسير البيضاوى ٤٢٢/٥، فتح البيان ٤٤٢/١٤.

المطلب الثاني : سبب النزول

وردت روايات عديدة سببا لنزول هذه الآيات وكلها تدل على حرص النبي ﷺ على القرآن وخوفه أن يتفلت منه أو ينساه.

منها: ما أخرجه البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ [لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ] قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ الْآيَةَ الَّتِي فِي لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ] قَالَ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ [فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ] فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ [ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ] عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (١).

وفى الصحيحين أيضًا: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى [لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ] قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا وَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى [لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ](٢).

---

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه كتاب التفسير/ باب تفسير سورة القيامة/ ج٤/ ص١٨٧٧/ رقم٤٦٤٥، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة / باب الاستماع للقراءة / ج١ / ص٣٣٠/ ص٤٤٨.

(٢) الحديث متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى { لا تحرك به لسانك }/ج٦/ ص٢٧٣٥ / رقم٧٠٨٦، ومسلم في صحيحه/ كتاب الصلاة / باب الاستماع للقراءة / ج١ /ص ٣٣٠/ رقم٤٤٨.

المطلب الثالث : المفردات اللغوية

"لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ"

العَجَلُ والعَجَلَة السرْعة خلاف البُطْء ورجُلٌ عَجِلٌ وعَجْلانُ وعاجِلٌ وعُجالى وهذا كلُّه جمع عَجْلان، والاسْتِعْجال والإعْجال والتَّعَجُّل واحد بمعنى الاسْتِحْثاث وطَلَب العَجَلة وأَعجَله وعَجَّله تعجيلاً إذا اسْتَحَثَّه، واسْتَعْجَل الرجلَ حَثَّه وأَمره أَن يَعْجَل في الأَمر ومَرَّ يَسْتَعْجِل أَي مَرَّ طالباً ذلك من نفسه مُتَكَلِّفاً إِياه(١).

وقال الراغب– رحمه الله :العجلة: طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه ، وهو من مقتضى الشّهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامّة القرآن حتى قيل : «العَجَلَةُ من الشّيطان»(٢). قال تعالى : سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ[الأنبياء/ ٣٧] ، وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ[طه / ١١٤] ، وَما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ[طه / ٨٣]، وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ[طه / ٨٤] ، فذكر أنّ عَجَلَتَهُ – وإن كانت مذمومة – فالذي دعا إليها أمر محمود ، وهو طلب رضا اللّه تعالى. قال تعالى : أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ(النحل:١)(٣).

"إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ"

القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} – ثم نقل من هذا المعنى المصدري

---

(١) ينظر: لسان العرب ٤٢٥/١١، المعجم الوسيط ٥٨٦/٢.

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذى في سننه كتاب البر والصلة / باب التأنى والعجلة / ج٤ / ص ٣٦٧/ رقم٢٠١٢ وقال حديث غريب.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٥٤٨/١، بصائر ذوى التمييز ١٠٩١/١.

وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من بـــاب إطلاق المصدر على مفعوله.، وقيل: سمي القرآن قرآنا لأنه جمـــع الســـور بعضها إلى بعض وقال الراغب سمي قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة.

وفى الاصطلاح: «القرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد صـــلى الله عليه وسلّم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوتـــه، المعجز ولو بسورة منه»(١).

"فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " اسْتَمِعْ قِرَاءَته فَكَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ يَسْتَمِع ثُمَّ يَقْرَؤُهُ.

"ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ "تبينه لك ونوضحه إذا أشكل عليك شيء من معانيه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا(٢).

المطلب الرابع : الإعراب

"لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ"

{لَا} ناهية جازمة.

{تُحَرِّكْ} فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد ﷺ ، مجزوم بـــ {لا} الناهية، {بِهِ} متعلق بـــ {تُحَرِّكْ}.

---

(١) ينظر: البرهان للزركشى ٢٧/١، الإتقان للسيوطي ١٤٤/١، مناهل العرفان ١٤/١، علـــوم القرآن الكريم لنور الدين عترصـــ١٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٧٨/٨.

{لِسَانَكَ} مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، وجملة: «لا تحرّك ...» لا محلّ لها استئنافيّة.

{لِتَعْجَلَ} {اللام}: حرف جرّ وتعليل، {تعجل} فعل مضارع منصوب بـ { أن } مضمرة بعد لام التعليل، وفاعله ضمير يعود على محمد ﷺ .

{ بِهِ } جار ومجرور متعلق بـ { تعجل } والضمير للقرآن أي بقراءته وحفظه على عجلة لئلا يفلت منك ، والجملة الفعلية مع {أن} المضمرة في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل؛ أي: لعجلتك بأخذه(١).

"إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ"

«إِنَّ» حرف مشبه بالفعل .

و «عَلَيْنا» الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن المقدم.

و «جَمْعَهُ» اسمها المؤخر .

و «قُرْآنَهُ» معطوف على ما قبله.

وجملة: «إنّ علينا جمعه ...» جملة تعليلية لا محل لها من الإعراب، سيقت لتعليل النهي عن العجلة(٢).

"فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "

«فَإِذا» الفاء عاطفة و«إذا» ظرفية شرطية غير جازمة.

---

(١) ينظر: حدائق الروح والريحان للهرري ٤٦٣/٣٠،الجدول في إعراب القرآن ١٧٢/٢٩،

(٢) ينظر: إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٤/٣، إعراب القرآن وبيانه للدرويش ٣٠٠/١٠.

و «قَرَأْنَاهُ» ماض وفاعله ومفعوله والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها.

و «فَاتَّبِعْ» الفاء رابطة لجواب إذا واتبع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت.

و «قُرْآنَهُ» مفعول به والجملة جواب الشرط لا محل لها[١].

"ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"

{ثُمَّ} حرف عطف مع تراخ، و{إِنَّ} حرف نصب، {عَلَيْنَا} خبر {إِنَّ} مقدم، {بَيَانَهُ} اسم {إِنَّ} مؤخّر، وجملة: «إنّ علينا بيانه» لا محلّ لها معطوفة على التعليليّة[٢].

المطلب الخامس : البلاغة

من الصور البلاغية التى وردت في الآيات السابقة:

الجناس الناقص بين قوله: {بَنَانَهُ} وقوله: {بَيَانَهُ} لاختلاف بعض الحروف[٣].

---

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ١٧٢/٢٩، إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٤/٣.

(٢) ينظر: حدائق الروح والريحان للهرري ٤٦٣/٣٠،إعراب القرآن وبيانه للدرويش ٣٠٠/١٠.

(٣) ينظر: حدائق الروح والريحان للهرري ٤٧٠/٣٠، التفسير المنير للزحيلى ٢٦٢/٢٩.
والجِنَاسُ: أَنْ يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهو نَوْعان:
(أ) تَامٌّ : وهو ما اتفَقَ فيه اللفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وترْتيبُها. مثل قوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) (الروم: ٥٥)
(ب) غَيْرُ تَامٍّ: وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة. مثل قوله (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) (الضحى ٩- ١٠) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للقزوينى ٣٥٤/١، البلاغة الواضحة للأستاذين على الجارم ومصطفى أمين صـ ٢٦٣، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» صـ١١٤ المؤلف: الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديبالناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان.

المطلب السادس : القراءات

قرأ ابن كثير (قرانه) بالنقل في الوصل والوقف وكذا قراءة حمزة في الوقف فقط، وقرأ الباقون (قرآنه) بغير نقل في الحالين. والنقل معناه نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحجة ابن كثير أن القران اسم وليس مهموزا ولم يؤخذ من قرأت(١).

المطلب السابع : البيان والتفسير

"لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ"

اختلفت أقوال العلماء في المخاطب بهذه الآية على قولين:

الأول: أنه خطاب للرسول صلّى اللّه عليه وسلم، لأنه ظاهر اللفظ والمنصوص عليه في الأحاديث الصحيحة الواردة في سبب النزول.

الثاني: أنه خطاب للإنسان المذكور في قوله : يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ، وذلك حال إنبائه بقبائح أفعاله ، يعرض عليه كتابه فيقال له : اقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. فإذا أخذ في القراءة تلجلج من شدّة الخوف وسرعة القراءة ، فقيل له : لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(٢).

---

(١) ينظر: النشر لابن الجزرى١/٤٧٠، حجة القراءات لابن زنجلة صـ ١٢٥، إتحاف فضلاء البشر١/٥٦٣.

(٢) ذكر القول الثانى الفخر الرازى منسوبا للقفال وقال القفال بعدهفهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به ا.هـ ، وعقب عليه الطاهر ابن عاشور قائلا: إن كان العقل لا يدفعه فإن الأسلوب العربي ومعاني الألفاظ تنبو عنه. التحرير ٢٩/٣٢٤، وينظر تفسير الرازى ٣٠/١٩٧.

والراجح الرأي الأول لأنه ظاهر اللفظ والموافق للأحاديث الصحيحة الواردة في سبب النزول.

قال أبو حيان – رحمه الله:

الظاهر والمنصوص الصحيح في سبب النزول أنه خطاب للرسول صلّى اللّه عليه وسلم وعقب الآلوسي علي الرأي الثاني : بأنه مخالف للصحيح المأثور الذي عليه الجمهور من أن ذلك خطاب له صلّى اللّه عليه وسلم(١).

واختلف العلماء في السبب الذي من أجله قيل له:(لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) على قولين:

←أحدهما : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسان يستذكره . مخافة أن ينساه ، وكان ناله منه شدة ، فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال (إنّ علينا جَمْعَه وقرآنه) قاله ابن عباس.

←الثاني : أنه كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهي عن ذلك حتى يجتمع ، لأن بعضه مرتبط ببعض ، قاله عامر الشعبي (٢).

"إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ"{علينا} في الموضعين للتكفل والتعهد.

والمعنى: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه(وُقرآنَهُ) يقول: وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك.

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٣٤٨/١٠،تفسير الرازى ١٩٧/٣٠،تفسير الآلوسي ١٥٩/١٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ٦٦/٢٤، تفسير القرطبى ١٠٦/١٩، تفسير الماوردى ١٥٥/٦، تفسير اللباب لابن عادل ٥١٢٧/١.

وقال الإمام الماوردي–رحمه الله– في الآية ثلاثة أوجه :

أحدها : إن علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك ، قاله ابن عباس .

الثاني : علينا حفظه وتأليفه ، قاله قتادة .

الثالث : علينا أن نجمعه لك حتى تثبته في قلبك ، قاله الضحاك(١).

"فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "

معنى الآية: فإذا أنزلناه إليك فاستمع قرآنه. وإذا تُلي عليك فاتبع ما فيه من الشرائع والأحكام.

واعمل بما أمرت به.

وقيل المعنى: لا تقارئه بل اسكت حتّى يسكت جبريل فاقرأ أنت ، والآية تدلّ على أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع جبريل ، وكان يسأله في أثناء قراءته عن المشكلات فنهي عن الأول بقوله " فاتبع قرآنه "وفي اختيار نون العظمة مبالغة في إيجاب التأني فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُفكن مقفيًا له لا مباريًا(٢).

"ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"

<u>للعلماء في الآية أربعة أقوال:</u>

أحدها : تبيانه بلسانك ، فتقرؤه كما أقرأك جبريل . وكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب ، قرأه كما وعده الله ،

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٦٨/٢٤، تفسير الماوردى ١٥٦/٦، التحرير والتنوير٣٢٥/٢٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ٦٩/٢٤، تفسير الماوردى ١٥٦/٦، تفسير الآلوسي١٥٧/١٥.

والثاني : إن علينا أن نجزيَ به يوم القيامة بما فيه من وعد ووعيد .

والثالث : إن علينا بيان ما فيه من الأحكام ، والحلال ، والحرام .

والرابع : علينا أن ننزّله قرآناً عربياً ، فيه بيان للناس[١] .

المطلب الثامن : من لطائف الآيات

اشتملت الآيات على بعض اللطائف والدقائق منها:-

← اللطيفة الأولى :-

عن سر الإضمار في قوله تعالى(لاَ تُحَرّكْ بِـهِ لِسَـانَكَ) أي بـالوحي والتنزيل والقرآن وإنما جاز هذا الإضمار وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحـال عليه كما أضمر في قوله إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(القدر: ١) ونظير قوله وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ إَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ (طه: ١١٤)[٢].

← اللطيفة الثانية:- في قوله« لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَـلَ بِـهِ. إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ »

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب:-لا شك أن هذا شـاهد مـن شـهود القرآن التي لا تحصى ، على أن هذا القرآن من عند اللّه ، وأن ليس لمحمد إلا تلقيه من الوحى ، وحمله إلى الناس ..

---

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٧٠/٢٤، زاد المسـير ٩٩/٦، تفسـيرالماوردى١٥٦/٦، تفسـير القرطبى١٠٦/١٩، تفسير ابن كثير ٢٧٩/٨.

(٢) ينظر: تفسير الرازى١٩٧/٣٠.

وإلا لو كان هذا القرآن من كلام محمد ــ أكان محمد يلبس هذه الشخصيات جميعها ، فيكون مخاطبا وغائبا ، وناهيا ومنهيّا ، كل ذلك في حال واحدة ، وموقف واحد ؟ .

أيعقل في هذا الموقف الذي يواجه فيه المشركين بهذه النذر المطلة عليهم من يوم القيامة ــ أيعقل في هذا الموقف ، أن يقطع محمد هذا العرض ، ثم يتحول إلى نفسه ، محاسبا ، وناصحا وموجها؟ وما شأن الناس بهذا ، لو كان محمد هو صاحب هذا الموقف ، والمصور له بكلماته؟..

إن صاحب الموقف ــ وهو اللّه سبحانه وتعالى ــ هو الذي يملك أن يقطع هذا العرض ، وأن يلقى على المتلقى عنه ، ما يشاء من توجيه ، وإرشاد ، حتى يجيء العرض واضحا ، كاملا .. إن الذي يملك الموقف كله، قوة قائمة على محمد ، وعلى من يلقاهم محمد بهذا الحديث .. وتلك القوة هي التي تدير الخطاب ، وتوجهه كيف تشاء إلى أيٍّ من المخاطبين ، أفرادا، أو جماعات[١].

(١) ينظر: التفسير القرآنى للقرآن ١٣٢٢/١٥.

المطلب التاسع : المعنى الإجمالي

إنزال القرآن الكريم بالوحي على قلب النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم نعمة عظيمة لا يعادلها شيء في الدنيا، والآيات الكريمات تبين حرصُ الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وسلم على تلقيه القرآن من جبريل وتحريكه لسانه به لدى إلقائه عليه، لئلاّ يفوته منه شيء، فأرشده اللّه تعالى إلى ضرورة الإصغاء له أولا، ثم يكون التثبيت والحفظ في القلب من فعل اللّه تعالى، ووعده بتمكينه من حفظه فقال: { وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ } [طه: ١١٤]، وقال: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } [القيامة: ١٦ ــ ١٩].

فالآيات كما يقول ابن كثير: تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه؛ ولهذا قال: { لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } أي: بالقرآن، كما قال: { وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } [طه : ١١٤] (١).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٧٨/٨، التفسير المنيرللزحيلى ٢٦٤/٢٩.

المطلب العاشر : ما ترشد إليه الآيات

١- تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم الطريقة المثلى لتلقي الوحي وهي الاستماع وحسن الإنصات إِلى الملك.

٢- تكفل اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه وسلم ثلاثة أمور لحفظ القرآن إلى الأبد وهي: جمعه في صدره عليه الصلاة والسلام، وتلاوته، وتفسيره لبيان ما فيه من الحدود والحلال والحرام، والوعد والوعيد، والمشكلات.

٣- إن التعجل مذموم مطلقا، ولو في أمور الدين.

٤- ويؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم فإنه سبب للحرمان وكذلك المسئول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل ويعرف المقصود منه قبل الجواب فإن ذلك سبب لإصابة الصواب[١].

(١) ينظر: تفسيرتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي١/٥١٤.

المبحث الثالث

انقسام الناس في الآخرة لفريقين سعداء وأشقياء

كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥){القيامة ٢٠-٢٥}

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

لما فرغ من خطابه عليه الصلاة والسلام، رجع إلى حال الإنسان السابق المنكر للبعث، فوبَّخه وقرَّعه على إنكاره البعث، فقال تعالى مبينا سبب الإنكار: كَلَّا، بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ، أي أردعكم عما تقولون أيها المشركون من إنكار البعث، فإنه يحملكم على التكذيب بيوم القيامة، ومخالفة ما أنزله اللّه عز وجل على رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم من الوحي الحق والقرآن العظيم، محبتكم واهتمامكم بدار الدنيا العاجلة، وتشاغلكم عن الآخرة وترككم العمل لها(١).

المطلب الثاني : المفردات اللغوية

"كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ"

"كَلاَّ" قال سيبويه والأكثرون حرف جواب يفيد النفي ومعناه الردع والزجر لا معنى لها عندهم إلا ذلك حتى إنهم يجيزون أبدا الوقف عليها والابتداء بما بعدها، وحتى قال جماعة منهم متى سمعت "كلا" في سورة

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٥٠/١٠، التفسير المنير للزحيلى ٢٦٤/٢٩.

فاحكم بأنها مكية لأن فيها معنى التهديد والوعيد وأكثر ما نزل ذلك بمكة لأن أكثر العتو كان بها، ويجوز أن تكون " كلا " بمعنى " حقاً "أو بمعنى" ألا"(١).

"الْعَاجِلَةَ" أي الدار الدنيا والحياة فيها.

"وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ"

الوَذْرَةُ بالتسكين: الفِدْرَةُ، وهي القطعة من اللحم. ومنه قولهم: يا ابنَ شامَّةِ الوَذْرَةِ، وهي كلمة قذفٍ. وكانت العرب تتَسابُّ بهـا، والجمـع وَذْرٌ. ووَذَّرْتُ اللحم تَوْذيراً: قطَّعته، وكذلك الجرح إذا شرطتَه. وتقـول: ذَرْهُ، أي دعه. وهو يَذَرُهُ، أي يدعُه.

والوَذِرَةُ كفَرِحَةٍ : الكثيرةُ الوَذْرِ، المرأةُ الكريهةُ الرائحةِ أو الغَليظَـةُ الشَّفَةِ، وذَرْهُ أي : دَعْهُ يَذَرُهُ تَرْكاً ولا تَقُلْ وَذْراً(٢).

"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ"

النَّضْرَة : النَّعْمَة والعيش والغِنى ، وقيل : الحُسْن والرَّوْنَـق، وُجـوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ قال : مُشرِقةٌ بالنَّعيم . قال وقَوْلُهُ تَعالى : تَعْرِفُ في وُجوههمْ نَضْرَةَ النَّعيم قال : بَريقه ونَداه، والنَّضْرَة: نَعيمُ الوجه(٣).

"إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"

تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشيءِ ورؤيَتِهِ ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّـلُ والفَحْصُ ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ ، وهو الرَّوِيَّةُ.

---

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ٣٩٠/١، المفصل في صنعة الإعراب ٤٧٧/١، شرح المفصل لابن يعيش ١٣٢/٥، شرح الرضى على الكافية ٤٧٨/٤، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكى بن أبى طالب٨٧٧/١٢، أدوات الإعراب لظاهر شوكت البياتى ١٧٠/١.

(٢) ينظر:الصحاح للجوهرى٢٧٣/٢، القاموس المحيط٦٣٣/١.

(٣) ينظر:لسان العرب ٢١٠/٥، تاج العروس ٢٣٦/١٤.

يقال : نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ. أي : لم تَتَأَمَّلْ ولم تَتَرَوَّ ، وقوله تعالى : قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ

[يونس / ١٠١] أي : تَأَمَّلُوا. واستعمال النَّظَرِ في البَصَرِ أكثرُ عند العامَّةِ ، وفي البصيرةِ أكثرُ عند الخاصَّةِ ، قال تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ[١].

"وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ"

البَسْر في الأَصل: الاستعجال بالشيء قبل أَوانه. وبَسَر الرّجُل حاجتَه: طلبها فى غير أَوانها، (والفحل الناقة: ضربها في غير أَوانها) ومنه قيل لِمَا [لم] يدرك من التمر: بُسْر.

وقوله – تعالى –: {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} أَي أَظهر العبوس قبل أَوانه، وفى غير وقته، وبَسَرَ الرجل وجهَه بُسوراً، أي كَلَحوأعْجَلَ وعَبَسَ وقَهَرَ[٢].

"تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ"

يقال : افْتَقَرَ فهو مُفْتَقِرٌ وفَقِيرٌ ، والفقير: المكسور فَقَارِ الظَّهر. وقال أهل اللُّغة: منه اشتُقَّ اسمُ الفقير، وكأنه مكسورُ فَقَار الظَّهر، من ذِلَّتِهِ ومَسْكَنَتِه، يقال : فَقَرَتْهُ فَاقِرَةٌ ، أي داهية تكسر الفِقَارَ ، وأَفْقَرَكَ الصّيدُ فارمه ، أي : أمكنك من فِقَارِهِ ، والفاقرة معناها في كلامهم الداهية[٣].

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٨١٢/١.

(٢) ينظر: بصائر ذوى التمييز ٥١٩/١، المفردات للراغب ١٢٢/١، الصحاح للجوهرى ٤٢/١، القاموس المحيط ٤٤٦/١.

(٣) ينظر: الزاهر فى معانى كلمات الناس لأبى بكر محمد بن القاسم الأنباري ٢٨١/١، مقاييس اللغة لابن فارس ٤٤٣/٤، المفردات للراغب ٦٤٢/١.

المطلب الثالث : الإعراب

"كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ"

«كَلَّا» حرف ردع وزجر.

و «بَلْ» حرف إضراب .

و «تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ» مضارع وفاعله ومفعوله والجملة مستأنفة لا محل لها .

و«تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» معطوفة على ما قبلها لا محل لها [١].

{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ } : فيه أوجهٌ :

←أحدُها: أَنْ يكون « وجوهٌ » مبتدأً ، و « ناضِرةٌ » نعتٌ لـه ، و « يومَئذٍ » منصوبٌ ب «ناضِرة » و « ناظرةٌ » خبـرُه ، و « إلـى ربِّهـا » متعلِّقٌ بالخبرِ ، والمعنى : أنَّ الوجوهَ الحسنة يومَ القيامة ناظرةٌ إلـى اللَّـهِ تعالى.

←الثاني: أَنْ يكونَ « وجوهٌ » مبتدأً أيضاً ، و « ناضِرَةٌ » خبرُه ، و « يومَئذٍ » منصوبٌ بالخبرِ كما تقدَّم .

و «إِلى رَبِّها» جار ومجرور متعلق بالخبر الثاني «ناظِرَةٌ» خبر ثان.

«وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ» معطوف على ما قبله.

و «تَظُنُّ» مضارع فاعله مستتر .

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٢٧/٢٩، الجدول في إعراب القرآن ١٧٣/٢٩، إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس ٤٠٤/٣.

و «أَنْ يُفْعَلَ» مضارع مبنيّ للمجهول منصوب بأن و «بِهـا» الجـار والمجرور متعلق بالفعل. و «فاقِرَةٌ» نائب فاعل والمصدر المـؤول مـن أن والفعل سد مسد مفعولي تظن والجملة الفعلية صفة وجوه[١].

المطلب الرابع : البلاغة

تضمنت هذه الآيات ضروبًا من البلاغة وأنواعًا من الفصاحة :-

←منها: المقابلة[٢] اللطيفة بين نضارة وجوه المؤمنين فـي قولـه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢)}، وبين عبوسة وجوه المجـرمين فـي قولـه: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤)}[٣].

←ومنها الجناس المحرف بين {ناضرة} و {ناظرة}[٤].

---

(١) ينظر:الدر المصون ٥٥٣٦/١ وذكر السمين وجوها أخرى وضعفها، التحريـر والتنـوير ٣٣٠/٢٩، الجدول في إعراب القرآن ١٧٤/٢٩، إعراب القـرآن الكـريم لقاسـم دعـاس ٤٠٤/٣.تفسير الهرري٤٦٣/٣٠.

(٢) المقابلة: أن يؤتى بمعنيين متوافقتين أو معان متوافقة بما يقابلها علـى الترتيـب" ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة صـ٣٢١ ، المثل السائر٢٦٥/٢، عروس الأفـراح في شرح تلخيص المفتاح ٢٣١/٢، البلاغة الواضحة صـ٣٢٤.

(٣) ينظر: تفسير الهرري ٤٧٠/٣٠، التفسير المنير للزحيلى ٢٦٢/٢٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٠/٢٩. والجناس المحرف هو: أن تكون الألفاظ متساوية فـي الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنـيس المثل السائر ٢٤٩/١، جواهر البلاغة للهاشمى صـ٣٢٨.هو اللفظ المستعمل في غير مـا وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ: مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، والعلاقة: هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون (المشابهة) بين المعنيين، وقد تكون غيرها . فاذا كانت العلاقة (المشابهة) فالمجاز (استعارة) ، وإلا فهو (مجاز مرسـل) والقرينة: هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، قد تكون لفظية، وقد تكون حالية انظر:- [جواهر البلاغة] صـ ٢٥١ ، [البلاغة الواضحة] صـ١٣٨.

←ومنها: المجاز المرسل في قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)}، لأنّ المراد بنظر الوجوه نظر العيون التي فيها بطريق ذكر المحلّ وإرادة الحال(١).

←ومنها: الطباق بين {الْعَاجِلَةَ}، و {الْآخِرَةَ} في قوله: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)}(٢).

←ومنها: الكناية في قوله: {تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)}؛ أي: داهية عظيمة؛ لأنه كناية عن غاية الشدّة وعدم القدرة على التحمل، فهي تتوقّع ذلك كما تتوقّع الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير بناء على أنّ قضيّة المقابلة بين الآيتين تقتضي ذلك(٣).

المطلب الخامس : القراءات

قوله تعالى:{كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر "كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة" بالياء وحجتهم أنه ذكر قبل ذلك الإنسان فقال ينبأ الإنسان يومئذ بل الإنسان على

---

(١) ينظر: تفسير الهرري ٤٧٠/٣٠، التفسير المنير للزحيلى ٢٦٢/٢٩. والمجاز هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ: مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، والعلاقة: هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون (المشابهة) بين المعنيين، وقد تكون غيرها، فاذا كانت العلاقة (المشابهة) فالمجاز (استعارة) ، وإلافهو (مجاز مرسل) والقرينة: هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، قد تكون لفظية، وقد تكون حالية ينظر:- [جواهر البلاغة] صـ ٢٥١ ، [البلاغة الواضحة] صـ١٣٨.

(٢) ينظر: تفسير الهرري ٤٧٠/٣٠، والطباق سبق تعريفه.

(٣) ينظر: تفسير الهرري ٤٧٠/٣٠، والكناية سبق تعريفها صـ ١٨.

نفسه بصيرة ١٤ ، ١٣ والإنسان في هذا الوضع في معنى الناس فأخرجوا الخبر عنهم إذ كان ذلك في سياق الخبر عنهم ليأتلف الكلام على نظام واحد.

وقرأ الباقون بل تحبون وتذرون بالتاء على الخطاب أيقل لهم يا محمد بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة الباقية [١].

وقوله {كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}قرأ بإدغام اللام في التاء حمزة والكسائى على أصلهما، والباقون بإظهار اللام [٢].

المطلب السادس : البيان والتفسير

"كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ"

وفى بيان معنى " كلا" في الآية الكريمة قال العلماء:

←١- لفظ كَلَّا عند سائر المفسرين: معناه حقا، أي حقا تحبون العاجلة وتذرون الآخرة، والمعنى أنهم يحبون الدنيا ويعملون لها، ويتركون الآخرة ويعرضون عنها[٣].

←٢- وقال الزمخشري: كلا: ردع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم عن عادة العجلة، وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة[٤].

---

(١) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة صـ٧٣٦، التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون٦٠٥/٢، النشر لابن الجزرى ٤٣٣/٢، الحجة للقراء السبع لأبى على الفارسي ٣٤٥/٦، البدور الزاهرة ٣٦٥/١، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب١٩٠/١٠.

(٢) ينظر: التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون٦٠٥/٢، إتحاف فضلاء البشر ٤٢/١، البدور الزاهرة ٣٦٥/١، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب١٩١/١٠.

(٣) ينظر: تفسيرالرازى ١٩٩/٣٠، التفسير المنير للزحيلى ٢٦٤/٢٩،

(٤) ينظر:الكشاف٦٦١/٤، تفسيرالرازى ١٩٩/٣٠.

وقال العلامة ابن عاشور:{كَلَّا} ردع وإبطال. ويجوز أن يكون إبطالا لما سبق في قوله: {أَيَحْسَبُ الْأِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} إلى قوله: {وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} فأعيد {كَلَّا} تأكيدا لنظيره ووصلا للكلام بإعادة آخر كلمة منه.والمعنى: أن مزاعمهم باطلة(١).

←٣- {كلا} استفتاح بمعنى: ألا(٢).

{ كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ } أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم: إنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لا هون متشاغلون عن الآخرة. فهذا بيان لما جبل عليه كثير من الناس، من إيثارهم منافع الدنيا الزائلة ، على منافع الآخرة الباقية، وزجر ونهى لهم عن سلوك هذا المسلك ، الذي يدل على قصر النظر ، وضعف التفكير.

أي : كلا – أيها الناس – ليس الرشد في أن تتركوا العمل الصالح الذي ينفعكم يوم القيامة ، وتعكفوا على زينة الحياة الدنيا العاجلة .. بل الرشد كل الرشد في عكس ذلك ، وهو أن تأخذوا من دنياكم وعاجلتكم ما ينفعكم في آخرتكم ، كما قال – سبحانه – : وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا.[القصص-٧٧]

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٢٧/٢٩.

(٢) ذكره الخطيب الشربينى في تفسيره ورجحه قائلا: جرى عليه الجلال المحلي وهو أظهر. ينظر: السراج المنير ٣٢١/٤، تفسير الجلالين صـ٧٧٩.

وشبيه بهاتين الآيتين قوله – تعالى – إِنَّ هـؤُلاءِ يُحِبُّـونَ الْعاجِلَـةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً [الإنسان–٢٧](١).

وعن سر اختيار الفعل تذرون على غيره قال الدكتور فاضل السامرائى :

انظر كيف اختار الفعل: (وتذرون) على (تدعون)

والجواب ــ والله أعلم ــ أن اختيار (تذرون) على (تدعون) له سببه ذلك أن الفعل (وذر) في عموم معانيه يفيد الذم، ومنه قولهم: امرأة وذرة أي: رائحتها رائحة الوذر، وهو اللحم، وقولهم (يا ابن شامة الوذر) وهو سب يكنى به عن القذف. (ودع) فإن من معانيه الراحة والدعة وخفض العيش. وقد يفيد المدح ومنه قولهم، رجل وديع، أي: هادئ ساكن. في حين أن الموقف ذم فإنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، فاختار الفعل الذي يقال في عموم للذم ولم يختر الفعل الذي يقال في كثير من معانيه و أكثر معانيه للمدح. وهو اختيار فني رفيع(٢).

"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ .إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"

{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ } ؛ معناهُ : وجوهٌ يومَ القيامةِ نَاعِمَـةٌ غضَّـة حسَنة مضيئةٌ مُسفِرَةٌ مشرقةٌ بنعيمِ الجنَّة ، وهي وجوهُ المؤمنين كما قال تعالى{ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ }وعن ابن عباس في قوله : وجوه يومئذ ناضرة قال : ناعمة . وعن محمد بن كعب القرظي في قوله : {وجوه يومئذ ناضرة} قال : نضر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر إليه.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير٨/٢٧٩، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوى ١٥/٢٠٣.
(٢) ينظر: لمسات بيانية ١/٢١٧.

وعن مجاهد {وجوه يومئذ ناضرة} قال : مسرورة.

وعن أبي صالح {وجوه يومئذ ناضرة} قال: بهجة لما هي فيه من النعمة.

وعن الضحاك {وجوه يومئذ ناضرة} قال: النضارة البياض والصفاء {إلى ربها ناظرة} قال: ناظرة إلى وجه الله.

وعن عكرمة {وجوه يومئذ ناضرة} قال : ناضرة من النعيم {إلى ربها ناظرة} قال : تنظر إلى الله نظرا(١).

وقال المعتزلة ومن تبعهم في إنكار الرؤية بأن معنى"إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" أى منتظرة (٢).

يعني أنّها تنتظر الثواب من ربّها ولا تراه من خلفه شيء.

وهذا تأويل مدخول لأنّ العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا : نظرته ، كما قال الله سبحانه : فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ [محمد-١٨] هل ينظرون إلّا نار الله؟ وما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً [يس-٤٩] وإذا أردت به التفكّر والتدبير قالوا : نظرت فيه فأمّا إذا كان النظر مقرونا بذكر إلى وذكر الوجه فلا يكون إلّا بمعنى الرؤية والعيان(٣).

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٧١/٢٤، الدر المنثور ١١٠/١٥.
(٢) ينظر: تفسير الزمخشرى ٦٦٢/٤.
(٣) ينظر: تفسير الثعلبى ٨٨/١٠.

رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة:

هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها قدرا وأعلاها خطرا ، وأقرها عينا لأهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة و الضلالة وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون ولمثلها فليعمل العاملون إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون(١).

وفي إثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة قال علماء أهل السنة: رؤية اللّه سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا ، وأجمعوا على وقوعها في الآخرة ، وأن المؤمنين يرون اللّه سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى : كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ والمخالف في الرؤية المعتزلة ومن تبعهم، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

(١) ينظر: حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية صـ ١٩٦، شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٨٩.

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية اللّه تعالى ، وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وآيات القرآن فيها مشهورة .

وأما الأحاديث الواردة في إثبات الرّؤية فمنها:

←عن أبى هريرة: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال (هل تمارون في القمر ليلة بدر ليس دونه حجاب) . قالوا لا يا رسول الله قال (فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب) . قالوا لا قال: فإنكم ترونه كذلك(١).

← وعَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ – قَالَ – يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ – قَالَ – فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

← وعن جرير قال : كنا عند النبي صلى الله عليه و سلم فنظر إلى القمر ليلة – يعني البدر – فقال (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب صفة الصلاة / باب فضل السجود /ج١ / ص٢٧٧ / رقم ٧٧٣، ومسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب معرفة طريق الرؤية / ج١ /ص١٦٣ / رقم ١٨٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الإيمان / باب إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى /ج١ /ص١٦٣ / رقم ١٨١.

وقبل غروبها فافعلوا) . ثم قرأ { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب }[١].

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله:

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها.... وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام. وهُدَاة الأنام.

وقال مالك بن أنس في قوله [كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ][المطففين:١٥]: لما حجب أعداءه ، فلم يروه ، تجلى لأوليائه حتى رأوه.

و قال الشافعي : لما حجب قوما بالسخط ، دل على أن قوما يرونه بالرضا[٢].

"وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ"

لما ذكر أهل النعمة ، أتبعه أضدادهم من أهل النقمة فقال : (ووجوه يومئذ) أي في ذلك اليوم بعينه) باسرة) أي شديدة العبوس والكلوح والتكره لما هي فيه من الغم كأنها قد غرقت فيه فرسبت بعد أن سبرت

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى في صحيحه / كتاب فضل صلاة العصر / باب مواقيت الصلاة / ج١ /ص٢٠٣ / رقم ٥٢٩، ومسلم في صحيحه / كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب فضل صلاتي الصبح والعصر /ج١ /ص٤٣٩ / رقم ٦٣٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٧٩/٨، تفسير القرطبى ١٠٨/١٩، تفسير الخازن٣٧٣/٤، تفسير الشوكانى ٤٥٨/٢، التحرير والتنوير ٣٢٩/٢٩.

أحوالها ، فلم يظهر لها وجه خلاص ، والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع لاشتداد كلوحه عند العراك ، وتلك الوجوه عن ربها محجوبة ، وإلى أنواع العذاب ناظرة [١].

والمعنى أن: وجوه الفجار تكون يوم القيامة متغيرةالألوان، مسودة كاشرة كالحة قاطبة ، لهول ما تراه هناك من الأهوال ، وأنواع العذاب والخسران { تَظُنُّ } أي:تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر. قال ابن زيد: هي دخول النار، وقال الكلبي: هي أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل.

وهذا المقام كقوله: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } [أل عمران : ١٠٦] وكقوله { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ } [عبس : ٣٨ -٤٢] وكقوله { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً } إلى قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } [الغاشية : ٢ -١٠] في أشباه ذلك من الآيات والسياقات[٢].

وأعيد لفظ {يومئذ} تأكيد للاهتمام بالتذكير بذلك اليوم[٣].

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعى ٢٤٢/٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ٧٣/٢٤ ، تفسير البغوى ٢٨٥/٨، تفسير ابن كثير٢١/٨،تفسير القرطبى ١١٠/١٩، تفسير الماوردى ١٥٧/٦، الدر المنثور ١٣٣/١٥.

(٣) ينظر:التحرير والتنوير ٣٣٠/٢٩.

المطلب السابع : من لطائف الآيات

قوله تعالى {تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة-٢٥] وعن سر التعبير بالظن دون العلم أو اليقين

قال العلامة الآلوسي -رحمه الله:

وجيء بفعل الظن هاهنا دلالة على أن ما هم فيه وإن كان غاية الشر يتوقع بعده أشد منه وهكذا أبدا وذلك لأن المراد بالفاقرة ما لا يكننه من العذاب فكل ما يفعل به من أشده استدل منه على آخر وتوقع أشد منه وإذا كان ظانا كان أشد عليه مما إذا كان عالما موطنا نفسه على الأمر على أن العلم بالكائن واقع لا بما يتجدد آنا فآنا فهذا وجه الإتيان بفعل الظن(١).

وقال الدكتور فاضل السامرائى:-

واختيار فعل الظن مناسب أحسن مناسبة لجو السورة والسياق مع أن الموطنَ موطنُ علمٍ ويقين، وقد فسره أكثر المفسرين بالعلم واليقين، ذلك أن الإتيان بفعل الظن متناسب مع تأخير التوبة وإيثار العاجلة وتقديم الفجور، فإنه في الحياة الدنيا بنى حياته على الظن، فهو يظن أنه سيمتد به العمر ويطول به الأجل، فيسوّف بتوبته ويقدم شهوته. وهذا الظن يرافقه إلى اليوم الآخر، فهو إلى الآن يظن وقوع الداهية ظناً، وهو إلى الآن في حالِ ظنٍّ وأملٍ لا في حالِ علمٍ وبصيرة، فهو لا يرى إلا اللحظة التي هوفيها، وما بعدها فهو عنده ظنٌّ لا يقين كما كان شأنه في الدنيا يقدم شهوته ويؤثر عاجلته ويقول: أيَّانَ يوم القيامة؟

---

(١)روح المعانى ١٥/١٦٢.

فانظر هذا الاختيار الرفيع لفعل الظن في هذا الموقف، وانظر تناسب ذلك مع النفس اللوامة التي لا ترى إلا ما هي عليه حتى تفوتها الفرصة، ويفوتها معها الخير، ويدركها سوء العاقبة، فتلوم نفسها على ما فرطت في جنب الله.

وذُكِرَ لاختيار فِعْلِ الظن سببٌ آخر هو أن الظانّ لا يعلم نوع العقوبة، ولا مقدارها فيبقى وَجِلاً أشد الوجل، خائفاً أعظم الخوف من هذا الأمر الذي لا يعلم ما هو ولا مداه ولا كيف يَتَّقيه. ألا ترى أن الذي يعلم ما سيحلُّ به يكونُ مُوطِّناً نفسه على ذلك الأمر بخلاف الذي لا يعلم ماذا يتّقي، وما مداه وما نوع تلك الفاقرة(١).

المطلب الثامن : المعنى الإجمالي

عاد السياق الكريم إلى تقرير عقيدة البعث والجزاء والتى عليها وعلى الإيمان بالله مدار الإصلاح والتهذيب فقال { كلا } أي ليس كما تدعون من عدم إمكان البعث والجزاء لأنكم تعلمون أن القادر على إيجادكم اليوم وإعدامكم غداً قادر على إيجادكم مرة أخرى ، ولكنالذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم { تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ } وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل السامرائى ١/٢٢٠.

الخسار ما حصل. فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لربحتم ربحا لا خسار معه، وفزتم فوزا لا شقاء يصحبه، فلو تفكر الإنسان في حاله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وتفكر في مصيره في يم القيامة لسعى أن يكون من أصحاب الوجوه النضرة المشرقة برؤية الملك العلام المتقلبة في نعيم الجنان، ولاستعاذ بربه أن يكون من أصحاب الوجوه الباسرة والقلوب الواجفة أعاذنا الله بلطفه وكرمه ، ورزقنا بمنه وفضله النظر إلى وجهه الكريم.

المطلب التاسع : ما ترشد إليه الآيات

١-كثير من الناس ينشغل بحب الدنيا وينغمس في ملذاتها ويحمله ذلك على التكذيب بالآخرة.

٢- ثبوت رؤية الله في الآخرة للمؤمنين وابتهاجهم وأنسهم بالنظر إلى وجه الله الكريم ويلمح أثرها في وجوههم نضارة وحسنًا ونورا وبهاءً.

٣-الذين لم يعملوا للآخرة وكذبوا بها يتيقنون أن داهية دهياء ستنزل بهم وترى وجوههم تعسة شقية ذليلة. فالخير للمرء أن يبتعد عن المعاصي ويطيع مولاه وثمت فرق بين {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ }، {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ }.

المبحث الرابع

حال المرء وقت الاحتضار وما يلقاه من الشدائد

كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى (٣١) وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥){القيامة ٢٦-٣٥}.

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

تخويف وتهديد للمكذبين بالبعث والقيامة فبعد أن بيَّن - سبحانه- أن سبب إعراضهم وتكذيبهم لليوم الآخر هو محبتهم العاجلة على الآخرة، خوفهم وزجرهم بلون آخر من ألوان الزجر والردع فعرض لهم مشهد الموت وذَكَّرهم بحالهم وقت الاحتضار وما عنده من الأهوال فقال:

{ كَلا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ }.. الآيات.

وعن مناسبة هذه الآيات يقول العلامة البقاعي- رحمه الله:-

ولما ذكر محبتهم للعاجلة بالمضارع الدال على التجدد والاستمرار، فاقتضى ذلك أنه حب غيره منفك التجدد أصلاً، أخبر أنه ينقطع عن هول المطلع مع الدلالة على تمام القدرة ، وأنه لا يرد قضاؤه ، فقال رادعاً لمن يظن عدم انقطاعه : (كلا) أي لا يدوم هذا الحب بل لا بد أن ينقطع انقطاعاً قبيحاً جداً، ولما كان المحب للدنيا هو النفس ، أضمرها لذلك ولدلالة الكلام عليها فقال ذاكراً ظرف ما أفهم حرف الردع تقديره من عدم المحبة :

(إذا بلغت) أي النفس المقبلة على العاجلة بأمر محقق بما أفهمته أداة التحقق [١].

وقال العلامة النيسابورى: وحين وصف القيامة الكبرى أتبعه نعت القيامة الصغرى فروّعهم عن إيثار العاجلة على الآجلة. وذكرهم حالة الموت التي هي أول منزلة من منازل الآخرة[٢].

المطلب الثانى : سبب النزول

قوله تعالى:{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى. ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}[القيامة: ٣٤-٣٥]. جاء في سبب نزولها ما ورد عن سعيد بن جبير؛ قال: قلت لابن عباس: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤)} قَالَهُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنزله الله -عزّ وجلّ-؟ قال: قاله رسول الله ثم أنزله الله[٣].

قال ابن عطية رحمه الله:

قال جمهور المتأولين : هذه الآية كلها إنما نزلت في أبي جهل بن هشام .

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعى ٢٤٢/٨.

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابورى ٤٠٤/٦.

(٣) ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم الهلالى ٤٨٤/٣. و أخرجه النسائي في سننه /كتاب التفسير / باب سورة القيامة / ج١٠ /ص٣٢١ /رقم ١١٥٧٤، والحاكم في مستدركه / كتاب التفسير / باب سورة القيامة / ج٢ /ص٥٥٤ / رقم ٣٨٨١ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

ثم كادت هذه الآية أن تصرح له في قوله تعالى : { يتمطى } فإنها كانت مشية بني مخزوم ، وكان أبو جهل يكثر منها، وقوله تعالى{ فلا صدق ولا صلى } تقديره فلم يصدق ولم يصل(١).

المطلب الثالث : المفردات اللغوية

"كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ"

التراقى جمع ترقوة بفتح أوله والتَّرْقُوَةُ ولا تُضَمُّ تاؤُه : العُظَيْمُ بين ثُغْرَةِ النَّحْرِ والعاتِقِ(٢).

"وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ"

من يَرْقِيهِ تنبيها أنه لا رَاقِي يَرْقِيهِ فيحميه ،وقال ابن عباس : معناه من يَرْقَى بروحه ، أملائكة الرّحمة أم ملائكة العذاب يقال رَقيتُ في السُلّمِ بالكسر رَقْياً ورُقِيًّا، إذا صعِدتَ. وارْتَقَيتُ مثله. والمَرْقاةُ بالفتح: الدرجة. وتَرَقَّى في العلم، إذا رَقِّيَ فيه درجةً. والرُقْيَةُ معروفة، والجمع رُقىً. تقول رَقَيْتُهُ أَرْقِيهِ رَقْيًا مِنْ بَابِ رَمَى عَوَّذْتُهُ بِاللَّهِ وَالِاسْمُ الرُّقْيَا عَلَى فُعْلَى(٣).

"وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ"

ظن أصلها للاعتقاد الراجح كقوله تعالى {إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا}[البقرة-٢٣٠]

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٤٦٠/٦.

(٢) ينظر: الصحاح للجوهرى ١١٢٤/١، المفردات للراغب١٦٦/١، التبيان للنووى ٢١٠/١.

(٣) ينظر: المفردات للراغب ٣٦٣/١،الصحاح للجوهرى ٢٦٦/١، المصباح المنير ٤٥٩/٣، لسان العرب ٣٣١/١٤.

وقد تستعمل بمعنى اليقين لأن الظن فيه طرف من اليقين لولاه كان جهلا كقوله تعالى {يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ}[البقرة- ٤٦] {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ} [الحاقة- ٢٠]{وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} {أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ}[المطففين- ٤] وللفرق بينهما في القرآن ضابطان:

أحدهما: أنه حيث وجد الظن محمودا مثابا عليه فهو اليقين وحيث وجد مذموما متوعدا بالعقاب عليه فهو الشك.

الثاني: أن كل ظن يتصل بعده "إن" الخفيفة فهو شك كقوله {إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ}[البقرة- ٢٣٠] وقوله {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ} [الفتح- ١٢]

وكل ظن يتصل به إنّ المشددة فالمراد به اليقين كقوله {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ}[الحاقة- ٢٠] {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ}[القيامة- ٢٨]

والمعنى فيه أنّ المشددة للتأكيد فدخلت على اليقين وأن الخفيفة بخلافها فدخلت في الشك(١).

"وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ"

الساقُ: ساقُ القدم، وهي من الإنْسانِ ما بينَ الكَعْبِ والَركبَةِ مُؤَنَّث والجمعُ سوقٌ وسِيقانٌ وأسْواقٌ. وامرأةٌ سَوْقاءُ: حسنةُ السَاق. ورجلٌ أَسْوَقُ بيِّنُ السوَق. والأَسْواقُ أيضاً: الطويلُ الساقَيْن. ويقال: ولَدَتْ فلانةُ ثلاثةَ بنينَ

(١) ينظر: البرهان للزركشى ١٥٦/٤.الصحاح للجوهرى ٣٤٠/١، تاج العروس٤٧٠/٢٥.

على ساقٍ واحد، أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية. وساقُ الشجرة: جِذْعها(١).

"إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ "المصير والمرجع والمآب إلى الله سبحانه.

"فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى"

الصِّدْقُ : مطابقة القول الضّمير والمخبر عنه معا ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صِدْقاً تامّا ، بل إمّا أن لا يوصف بالصّدق ،وإمّا أن يوصف تارة بالصّدق ، وتارة بالكذب على نظرين مختلفين ، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد : محمّد رسول اللّه ، فإنّ هذا يصحّ أن يقال : صِدْقٌ ، لكون المخبر عنه كذلك ، ويصحّ أن يقال : كذب ، لمخالفة قوله ضميره ، وبالوجه الثاني إكذاب اللّه تعالى المنافقين حيث قالوا : نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ... الآية.

وقال الجنيد: حقيقة الصّدق أَن تَصدُق فى مواطن لا ينجيك [منها] إلا الكذب(٢).

"وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى "الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك، والمعنى كَذَّبَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ(٣).

"ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى "يتبختر و يختال يَلْوِي مَطَاهُ تَبَخْتُرًا، وَالْمَطَا: هُوَ الظَّهْر و"مطا" جَدّ فى السير وأَسرع. وتمطَّى النهارُ وغيره: امتدّ وطال.

---

(١) ينظر: الصحاح للجوهرى ٣٤٠/١، تاج العروس٤٧٠/٢٥.

(٢) ينظر: المفردات للراغب ٤٧٨/١، بصائر ذوى التمييز ٩٩٧/١.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى صـ٤٤٩.

والاسم المُطَواء. والمَطَا: التمطِّى. وتمطَّى فى مشيته: تبختر. وتمطَّى الليلُ: طال(١).

"أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى"

تعبير اصطلاحي، يتضمن التهديد والوعيد. ومعناها: قاربك ما تكره، فاحذره. وهو مأخوذٌ من الوَلِيِّ، وهو القرب.

قال ابن منظور – رحمه الله:- { أَوْلَى لك فأَوْلَى } معناه التَّوعُّد والتَّهَدُّد أَي الشَّرُّ أَقربُ إِليك وقال ثعلب : معناه دَنَوْتَ من الهَلَكة وكذلك قوله تعالى: { فأَوْلى لهم } أَي وَلِيَهم المَكروه وهو اسم لِدَنَوْتُ أَو قارَبْتُ وقال الأَصمعي : أَوْلَى لك قارَبَكَ ما تَكْرَه أَي نَزَلَ بك يا أَبا جهل ما تكره، قال ثعلب : ولم يقل أَحد في أَوْلَى لك أَحْسَنَ مما قال الأَصمعي(٢).

المطلب الرابع : الإعراب

«كَلَّا» حرف ردع وزجر.

و «إِذا» ظرفية شرطية غير جازمة .

و «بَلَغَتِ» ماض فاعله محذوف دلّ عليه السياق وهو الروح أو النفس.

و «التَّراقِيَ» مفعول به والجملة في محل جر بالإضافة لإذا الشرطية.

«وَقِيلَ» ماض مبني للمجهول.

و «مَنْ» اسم استفهام مبتدأ.

---

(١) ينظر: معانى القرآن للفراء ٢١٢/٣، بصائر ذوى التمييز ١٤٢١/١.

(٢) ينظر: لسان العرب٤٠٥/١٥.

و «راقٍ» خبر مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المحذوفة لأنه اسم منقوص . والجملة الاسمية مقول القول وجملة "قيل.." معطوفة على ما قبلها.

«وَظَنَّ» ماض فاعله مستتر.

و «أَنَّهُ» أن واسمها و «الْفِراقُ» خبرها والمصدر المؤول سد مسد مفعولي ظن وجملة ظن .

معطوفة على ما قبلها.

و «وَالْتَفَّتِ السَّاقُ» ماض وفاعله.

و «بِالسَّاقِ» جار ومجرور متعلق بالفعل والجملة معطوفة على ما قبلها.

و «إِلى رَبِّكَ» خبر مقدم.

و «يَوْمَئِذٍ» ظرف زمان مضاف إلى مثله والتنوين عوض عن جمل أربع : وهي بلغت الروح التراقي ، وقيل من راق ، وظن أنه الفراق ، والتفّت الساق بالساق. و «الْمَساقُ» مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية جواب الشرط لا محل لها.

«فَلا» الفاء حرف عطف و«لا» نافية.

و «صَدَّقَ» ماض فاعله مستتر والجملة لا محلّ لها استئنافيّة.

«وَلا صَلَّى» معطوف على فلا صدق.

«ولَكِنْ» حرف استدراك و«كَذَّبَ» ماض فاعله مستتر. وحذف مفعول {كذب} ليشمل كل ما كذب به المشركون، والتقدير: كذب الرسول والقرآن وبالبعث، وتولى عن الاستجابة لشرائع الإسلام.

«وتَوَلَّى» معطوف على كذب.

و«ثُمَّ» حرف عطف للترتيب مع التراخي والسر الاستبعاد لأن من صدر عنه مثل ذلك ينبغي أن يخاف من حلول غضب اللّه فيمشي خائفا، ولكن هذا يمشي متبخترا متعجرفا يطاول أعنان السماء وهو أهون قدرا وأخسّ مكانا.

و «ذَهَبَ» ماض فاعله مستتر و«إِلى أَهْلِهِ» جار ومجرور متعلق بالفعل وجملة: «ذهب ...» لا محلّ لها معطوفة على جملة كذّب أو تولّى.

و «يَتَمَطَّى» مضارع فاعله مستتر والجملة في محلّ نصب حال من فاعل ذهب.

و «أَوْلَى » اختلف العلماء في هذه الكلمة هل هى اسم أو فعل؟

قال الشيخ السمين – رحمه الله:

اختلف اللغويون والمُعْربون في هذه اللفظةِ ، فقال الأصمعي : إنها فعلٌ ماضٍ بمعنى : قارَبَ ما يُهْلِكه قال ثعلب : « لم يَقُلْ أحدٌ في » أَوْلَى « أحسنَ مِنْ قولِ الأصمعيِّ » .

ولكنْ الأكثرون على أنه اسمٌ .

أمَّا الإِعرابُ : فإن قلنا بقول الجمهور أنها اسم ففيه أوجهٌ:

أحدُها : أنَّ « أَوْلَى » مبتدأٌ ، و « لك » خبرُه ، تقديرُه : فالهلاكُ لك. وسَوَّغَ الابتداءَ بالنكرة كونُه دعاءً نحو: { ويلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ } [الهمزة: ١] .

الثاني : أنه خبرُ مبتدأ مضمرٍ تقديرُه العقابُ أو الهلاكُ أَوْلَى لك ، أي: أقربُ وأَدْنى . ويجوز أن تكونَ اللامُ بمعنى الباءِ أي : أَوْلَى وأحَقُّ بك .

الثالث : أنه مبتدأٌ ، و« لك » متعلِّقٌ به، واللامُ بمعنى الباء[١].أ.هـ.

و«فَأَوْلى » الفاء حرف عطف و«أَوْلى » معطوف على ما قبله والجملة مستأنفة و«ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى » معطوفة عليها[٢].

المطلب الخامس : البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروبًا من البلاغة وأنواعًا من الفصاحة .

←فمنها الإيجاز بالحذف في قوله تعالى "كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ" والمحذوف دلّ عليه السياق وهو الروح أو النفس[٣].

---

(١) ينظر: الدر المصون ٤٨٥٣/١ وقد تصرفت في عبارة الشيخ السمين لأنه ذكر هذه المعانى والأعاريب في تفسير قوله تعالى{فَأَوْلَى لَهُمْ}[القتال:٢٠] وينظر: إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش ١٠/ ٢٩٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير٣٢٤/٢، الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافى ١٧٦/٢٩، إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش ١٠/ ٣٠٦، إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس٤٠٤/٣.

(٣) ينظر: تفسير المراغى ١٥٥/٢٩، وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف، من قرينة لفظية، أو معنوية. المثل السائر ٧٤/٢، الإيضاح في علوم البلاغة ١٧٧/١، جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمى صـ ١٩٩.

←ومنها: الكناية في قوله: {وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ}كناية عن الشدة والكرب ، حيث لا يقوى المرء على التحكم فى أوصاله ، أو أن يضبط حركات رجليه [١].

←ومنها: الجناس الناقص بين لفظي {السَّاقُ} و {الْمَسَاقُ} [٢].

←والخطاب في قوله: {إِلَى رَبِّكَ} التفات عن طريق خطاب الجماعة في قوله: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} [القيامة:٢٠] لأنه لما كان خطابا لغير معين حسن التفنن فيه[٣].

←ومنها: الالتفات في قوله: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}؛ لأنّ فيه التفاتًا من الغيبة إلى الخطاب تقبيحًا له وتشنيعًا[٤].

←ومنها: التكرير للتأكيد في قوله: {ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}[٥].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٤٥٨/٦، البحر المحيط ٣٥٣/١٠، غرائب القرآن ٤٠٥/٦، حاشية الصاوى ٢٠٣١/١، التحرير والتنوير٣٣٣/٢٩، التفسير القرآنى للقرآن ١٣٤١/١٥. وسبق تعريف الكناية صـ ١٨.

(٢) ينظر: تفسيرالهررى ٤٧١/٣٠. وسبق تعريف الجناس صـ٣٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير٣٣٣/٢٩،والالتفات معناه: الانتقال من كل من التكلم – أو الخطاب أو الغيبة – إلى صاحبه، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات، تفنناً في الحديث، وتلويناً للخطاب، حتى لا يمل السّامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطا وحملا له على زيادة الاصغاء.قال الخطيب القزوينى–رحمه الله:واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ووجه حسنه " الالتفات" على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد . الإيضاح في علوم البلاغة ٧٤/١، جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع للسيد أحمدالهاشمى صـ ٢١٢.

(٤) ينظر: ملاك التأويل للغرناطى ٤٩٥/٢،حدائق الروح والريحان للهررى ٤٧١/٣٠، فتح البيان لصديق خان ٤٤٨/١٤.

(٥) ينظر: مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى١٣/١، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة صـ١٥٠، كشف المعانى في المتشابه والمثانى لابن جماعة٣٦٩/١، تفسير الآلوسى١٦٤/١٥.

المطلب السادس : القراءات

←قرأ حفص بإظهار النون عند الراء بخلف عنه من طريقيه ويسكت على النون سكتة لطيفة من غير تنفس لئلا يتوهم أنها كلمة واحدة وهذه السكتة قصد بها دفع اللبس ، وألا يتوهم أن " من راق" مرَّاق فعال من مرق فالسكوت ليشعر أنهما كلمتان، والمعنى هل من مداو.

وقرأ الباقون بالإدغام لقرب النون من الراء(١).

قال ابن الجزرى – رحمه الله:

وأما الكلمات الأربع فهي (عوجا) أول الكهف (ومرقدنا) في يس (ومن راق) في القيامة (وبل ران) في التطفيف فاختلف عن حفص في السكت عليها والإدراج

فروى السكت على الألف المبدلة من التنوين في (عوجا) ثم يقول (قيما) وكذلك على الألف من (مرقدنا) ثم يقول (هذا ما وعد الرحمن) وكذلك على النون من (من) ثم يقول (راق) وكذلك على اللام من (بل) ثم يقول (ران على قلوبهم)، وروى الإدراج في الأربعة كالباقيين،

ثم عقب قائلا: فثبت في الأربعة الخلاف عن حفص من طريقيه. وصح الوجهان من السكت والإدراج عنه وبهما عنه آخذ(٢).أ.هـ

---

(١) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة صـ ٧٣٧، التذكرة لابن غابون ٢/٦٠٥، إتحاف فضلاء البشر ١/٥٦٣، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب١٠/١٩٣.

(٢) ينظر : النشر في القراءات العشر ١/٤٨٣.

←أمال حمزة والكسائي رؤوس آي هذه السورة من قوله (ولا صلى) إلى آخرها، وقرأ والباقون بإخلاص الفتح(١).

المطلب السابع: البيان والتفسير

"كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ"

يعني النفس سُلَّت من الرجلين حتى إذا بلغت الترقوتين "الحلقوم"

فهذا زجر آخر لقريش وتذكير لهم بموطن من مواطن الهول وأمر الله تعالى الذي لا محيد لبشر عنه وهي حالة الموت والمنازعة التي كتبها الله على كل حيوان ، فالأمر كله كناية عن حال الحشرجة ونزاع الموت ، يسره الله علينا بمنه.

والمعنى:

←إن جعلنا { كَلا } رادعة فمعناها: لست يا ابن آدم تكذب هناك بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عيانا.

---

(١) ينظر: التيسير في القراءات السبع لأبى عمرو الدانى صـ١٣٧، التذكرة لابن غلبون ٦٠٦/٢، إتحاف فضلاء البشر ٥٦٤/١. وذكر الشيخ البنا تعريف الإمالة في باب: الفتح والإمالة

ـ قال – رحمه الله: الفتح هنا عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف إذ الألف لا تقبل الحركة ويقال له التفخيم وربما قيل له النصب ، والإمالة أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهي المحضة ويقال لها الكبرى وهي المرادة عند الإطلاق، ويجتنب في الإمالة المحضة القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه، والفتح والإمالة لغتان فصيحتان نزل بهما القرآن والفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١٠٢/١.

←وإن جعلناها بمعنى(حقا) فظاهر، أي: حقا إذا بلغت التراقي، أي: انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، وأشرفت على الموت.

وأخبر سبحانه في الآية بما لم يجر له ذكر، لعلم المخاطب به؛ كقوله تعالى :{حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص-٣٢] وقوله تعالى : {فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ} [الواقعة-٨٣]

ولكل إنسان ترقوتان عن يمينه وعن شماله، فالجمع هنا مستعمل في التثنية لقصد تخفيف اللفظ وقد أمن اللبس، لأن في تثنية ترقوة شيئا من الثقل لا يناسب أفصح كلام، وهذا مثل ما جاء في قوله تعالى: {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} في سورة التحريم [٤][(١)].

"وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ"

"رَاقٍ" اسم فاعل إما من رقَى يرقِي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرُّقْيَةِ وهي كلام معد للاستشفاء يرقى به المريض ليشفى، وإما من رقِي يرقَى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرُّقِيِّ وهو الصعودُ ، يقال رَقَى بالفتحِ من الرُّقْيَةِ ، وبالكسرِ من الرُّقِيّ.

وللعلماء في الآية ثلاثة أقوال:-

الأول: أن ذلك من كلام أهله ومن حضره فيقولون : من راقٍ يرقيه بالرُّقى وأسماء الله الحسنى، قاله ابن عباس .

الثانى : أن ذلك من كلام أهله ومن حضره فيقولون :هل مَنْ طبيبٌ شافٍ ، قاله قتادة.

(١) ينظر: تفسير ابن أبى زمنين ٢٨٢/٢، تفسير ابن كثير ٢٨١/٨، تفسير البغوى٢٨٥/٨، تفسير القرطبى ١١١/١٩، المحرر الوجيز ٤٥٨/٦، التحرير والتنوير٣٣٢/٢٩.

الثالث: أن ذلك من كلام الملائكة فيقول بعضهم لبعض إذا حضروا لقبض روحه : مَن راقٍ يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ،قاله ابن عباس [١].

"وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ"

أى أيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد، وقرأ ابن عباس :وأيقن أنه الفراق" وهو صحيح عنه ، وهو المعني هنا [٢].

والآية بيان لمرحلة ثالثة من مراحل الاحتضار، حيث كانت المرحلة الأولى ، هى بلوغ الروح التراقى ، ثم كانت المرحلة الثانية استدعاء الرقاة والمتطببين .. ثم كانت المرحلة الثالثة ، وهىاليأس من رقى الرقاة ، فقد تيقن أهل المحتضر أنه لا يلبث إلا قليلا حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وها هى ذى الروح وقد بلغت الحلقوم.

وقوله تعالى : « وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » بيان لمرحلة رابعة ، فى مسيرة هذا المحتضر .. إنه لا يموت ، ويتحول إلى عدم ، كما يظن ذلك الذين يكذبون بالحياة الآخرة ، بل إنه سيحيا فى عالم آخر[٣].

---

(١)ينظر: تفسير الطبرى٧٥/٢٤، تفسير الماوردى ١٥٧/٦، تفسير ابن أبى زمنين ٢٨٢/٢، تفسير ابن كثير ٢٨١/٨، تفسير القرطبى ١١١/١٩، المحرر الوجيز ٤٥٨/٦، الدر المصون ٥٥٤٠/١، التحرير والتنوير٣٣٢/٢٩، فتح البيان لصديق خان٤٤٦/١٤.

(٢)ينظر: تفسير الطبرى٧٦/٢٤، تفسير البغوى ٢٨٥/٨، تفسير المحرر الوجيز ٤٥٨/٦، تفسير السمعانى١٠٩/٦.والقراءة المنسوبة لابن عباس شاذة ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى ٣٤١/٢.

(٣)ينظر: تفسير القرآنى للقرآن لعبد الكريم الخطيب ١٣٣٩/١٥.

"وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق"

تعددت الأقوال في بيان معنى الآية ومرجعها إلى أمرين:

←الأول: أن الساق على حقيقتها ويراد بها العضو المخصوص،

والمعنى: ماتت ساقاه فلم تحملاه وكان عليهما جوالا.

قال الحسن: التفَّت ساقا الميت إذا لفتا في الكفن.

وقيل المراد بالتفافهما انتهاء أمرهما وما يراد فيهما يعني موتهما وقيل يبسهما بالموت وعدم تحرك إحداهما عن الأخرى حتى كأنهما ملتفتان فهما أول ما يخرج الروح منه فتبردان قبل سائر الأعضاء وتيبسان فالساق بمعناها الحقيقي.

←الثانى: أنه كناية عن الشدّة.

والمعنى: الشدة بالشدة والبلاء بالبلاءِ ، وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع ، قاله عكرمة ومجاهد ،

فالميت اجتمع أمران شديدان عليه : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه ،

أو المعنى: الْتَفَّتِ أسوق حاضريه من الإنس والملائكة هؤلاء يجهزون بدنه إلى القبر وهؤلاء يجهزون روحه إلى المساء فكأنهم للاختلاف في الذهاب والإياب والتردد في الأعمال قد التفّت أسوقهم وهذا الالتفاف على حد اشتباك الأسنة فالآية كناية عن الاشتغال بأمر هذا المحتضر[1].

(١) ينظر: تفسير الطبرى٧٦/٢٤، تفسير القرطبى ١١٢/١٩، ورجح القول الثانى، غرائب القرآن للنيسابورى ٤٠٥/٦، زاد المسير ١٠٠/٦، تفسير الشوكانى٣٦٩/٧.

ورجح الطبرى –رحمه الله– القول الثانى قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفَّت ساق الدنيا بساق الآخـــرة، وذلك شدّة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويلـــه، قوله:(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) والعرب تقول لكلّ أمر اشتدّ:

قد شمرعن ساقه، وكشف عن ساقه(١).

"إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ"

لما صور وقت تأسفه على الدنيا وإعراضه عنها ذكر غاية ذلك ، فقال تعالى مفرداً النبيّ صلى الله عليه وسلم بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم هذا حق فهمه غيره{إلى ربك}

وتقديم {إِلَى رَبِّكَ} على متعلقة وهو {الْمَسَاقُ} للاهتمام به لأنه منـــاط الإنكار منهم. فقد أنكروا البعث والقيامة بعد الموت وقالوا كما حكى القـــرآن عنهم { إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُـــوتُ وَنَحْيَـــا وَمَـــا نَحْـــنُ بِمَبْعُـــوثِينَ} [المؤمنين–٣٧]

والرجوع معناه إلى حكم ربك وعدله ، فإما إلى جنة وإما إلى نار(٢).

"فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى"

ذكر العلماء في مرجع الضمير في الآية قولين:

←الأول: أن هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدنيا مكـــذبا للحـــق بقلبه، متوليا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا، فالضمير يرجع

(١) ينظر: تفسير الطبرى٢٤/٨٠.
(٢) ينظر: السراج المنير٤/٣٢٣، تفسير ابن كثير ٨/٢٨٢، التحرير والتنوير ٢٩/٣٣٠.

إلى الإنسان في أول السورة ، وهو اسم جنس. والمعنى فلا صدّق بكتاب الله ولا صلى لله وقيل : فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه . وهو الصواب لأنه الموافق لسياق الآيات السابقة واللاحقة.

←الثانى: أن المراد به إنسان مخصوص وهو أبو جهل ، والمعنى فلا صدق أبو جهل بالقرآن ولا صلى لله تعالى(١).

قال ابن عطية – رحمه الله–

هذه الآية كلها إنما نزلت في أبي جهل بن هشام ،ثم كادت هذه الآية أن تصرح له في قوله تعالى { يتمطى } فإنها كانت مشية بني مخزوم ، وكان أبو جهل يكثر منها ، وقوله تعالى : { فلا صدق ولا صلى } تقديره فلم يصدق ولم يصل(٢).

و "لا" في الآية بمعنى " لم"قال الكسائي : لا بمعنى لم ، وكذا قال الأخفش : والعرب تقول : لا ذهب ، أي : لم يذهب ، وهذا مستفيض في كلام العرب، فقوله :{ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى } أي : لم يصدق ولم يصلّ ، وهو كقوله :{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ } [البلد : ١١] ، أي : لم يقتحم (٣).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٨٢/٨. تفسير القرطبى١٣٣/١٩ ، تفسير الرازى ٧٣٦/٣٠، الشوكانى٣٧٩/٧، التحرير والتنوير٣٣٧/٢٩ قال ابن عاشور: وأحسب أن المراد: كل إنسان كافر كما يقتضيه أول الكلام من قوله: {أَيَحْسَبُ الْأِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} إلى قوله: {بَلِ الْأِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: ٣-١٤]، وما أبو جهل إلا من أولهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم توعده باللفظ الذي أنزله الله تهديدا لأمثاله.

(٢)ينظر: المحرر الوجيز٤٦٠/٦.

(٣) ينظر: تفسير القرطبى ١٣٣/١٩،تفسير الشوكانى٣٧٩/٧.

والفعل " صَدَّقَ " مشتق من التصديق، أي تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وهو المناسب لقوله: {وَلَكِنْ كَذَّبَ} .

والمعنى: فلا آمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، برسالة الله ودينه ، وهو الصواب وذهب قوم إلى أنه من الصدقة ، والأول أصوب .

قال ابن عاشور –رحمه الله–

وبعض المفسرين فسر {صدق} بمعنى أعطى الصدقة، وهو غير الجار على قياس التصريف إذ حقه أن يقال: تصدق، على أنه لا يساعد الاستدراك في قوله: {وَلَكِنْ كَذَّبَ}(١).

"وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى"

كذب بالقرآن وتولى عن الطاعة والإيمان.

وحذف مفعول {كذب} ليشمل كل ما كذب به المشركون، والتقدير: كذب الرسول والقرآن وبالبعث، وتولى عن الاستجابة لشرائع الإسلام.

وفاعل {صدق} والأفعال المذكورة بعده ضمائر عائدة على الإنسان المتقدم ذكره.

والمعنى: أنه أهمل الاستعداد للآخرة ولم يعبأ بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وذهب إلى أهله مزدهيا بنفسه غير مفكر في مصيره(٢).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٥/٢٩. والمقصود ببعض المفسرين الزمخشرى صاحب الكشاف ٦٦٤/٤، ورجح المعنى الأول ابن عطية في تفسيره ٤٦٠/٦، والثعالبى في تفسيره ١٨١/٤،والبيضاوى في تفسيره لم يذكر غيره ٤٢٤/٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٥/٢٩.

"ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى"

أى يختال ويتبختر وهو أبو جهل بن هشام كانت مشيته ،ومشية بني مخزوم، وإنما عُني بقوله:(يَتَمَطَّى) يلوي مطاه تبخترا، والمطا: هو الظهر، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم: "إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ، وَخَدَمَتْهُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، سُلِّطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ"(١). وذلك أن يلقي الرجل بيديه ويتكفأ.

وتمطى – هنا – فيه قولان: أحدهما : أنه من " المَطَا " وهو الظهر ، ومعناه : يَتبختَرُ أي يمد مطاه ويلويه تبختراً في مشيته.

الثاني : أن أصله " يتمطّط " أي يتمدّد ، ومعناه : أنه يتمدد في مشيته تبختراً(٢).

والصواب أن الآية في الإنسان الكافر المكذب بالبعث.

قال ابن كثير– رحمه الله :

هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا، ولهذا قال: { فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى } أي: جَذلا (٢) . أشرا بَطرا كسلانا، لا همة له ولا عمل، كما قال: { وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ } [المطففين:٣٤]. وقال { إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ

(١)الحديث أخرجه الترمذى في سننه / كتاب الفتن / باب ٧٤ /ج ٤ / ص٥٢٦ /رقم٢٢٦١ وقال حديث غريب، وابن حبان في صحيحه ١١٢/١٥.

(٢)ينظر: تفسير الطبرى ٨١/٢٤، الدر المنثور ١٣٨/١٥،المحرر الوجيز ٤٦٠/٦،تفسير ابن عادل ٥١٣٤/١،التحرير والتنوير٣٣٧/٢٩.

أَنْ لَنْ يَحُورَ } أي: يرجع { بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا } [الانشقاق:١٣ – ١٥][(١)].

"أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى"

التهديد في الآيتين لأبى جهل لما ورد عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قول الله : {أولى لك فأولى} أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل من قبل نفسه أم أمره الله به قال : بلى قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله[(٢)].

وعن قتادة، قال: أخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده، يعني بيد أبي جهل، فقال:(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فقال: يا محمد، ما تستطيع أنت وربك فيّ شيئا، إني لأعزّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال: لا يُعبد الله بعد هذا اليوم، وضرب الله عنقه، وقتله شرّ قِتلة [(٣)].

والصواب ما ذكره ابن كثير – رحمه الله قال:

هذا تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيته، أي: يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقالفي مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله: { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } [الدخان:٤٩]. و

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٨٢/٨.

(٢) ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم الهلالى ٤٨٤/٣. و أخرجه النسائي في سننه /كتاب التفسير / باب سورة القيامة / ج١٠ /ص٣٢١ /رقم ١١٥٧٤، والحاكم في مستدركه / كتاب التفسير / باب سورة القيامة / ج٢ /ص٥٥٤ / رقم ٣٨٨١ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٣) ينظر: تفسير الطبرى ٨٢/٢٤، الدر المنثور ١٣٩/١٥.

كقوله: { كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ } [المرسلات:٤٦]، وكقوله { فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ } [الزمر:١٥]، وكقوله { اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ } [فصلت:٤٠]. إلى غير ذلك.

وقال الإمام القرطبى- رحمه الله:

تهديد بعد تهديد ، ووعيد بعد وعيد ، أي فهو وعيد أربعة لأربعة ؛ كما روي أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربه فقال : "فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى" أي لا صدق رسول الله ، ولا وقف بين يدي فصلى ، ولكن ، كذب رسولي ، وتولى عن التصلية بين يدي. فترك التصديق خصلة ، والتكذيب خصلة ، وترك الصلاة خصلة ، والتولي عن الله تعالى خصلة ؛ فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة. والله أعلم. لا يقال : فإن قوله : {ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى} خصلة خامسة ؛ فإنا نقول : تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولي ، فأخبر عنها.

وقال الطاهر ابن عاشور -رحمه الله:-وأحسب أن المراد: كل إنسان كافر كما يقتضيه أول الكلام من قوله: {أَيَحْسَبُ الْأِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} إلى قوله: {بَلِ الْأِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: ٣-١٤]، وما أبو جهل إلا من أولهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم توعده باللفظ الذي أنزله الله تهديدا لأمثاله.

وكلمات المتقدمين في كون الشيء سبب نزول شيء من القرآن كلمات فيها تسامح(١).

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٢٨٢/٨، تفسير القرطبى ١١٤/١٩، التحرير والتنوير٣٣٧/٢٩.

المطلب الثامن : من لطائف الآيات

من اللطائف التى وردت في هذه الآيات:

← اللطيفة الأولى:- عن سر التعبير بالظن في قوله تعالى (وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ) أي وأيقن المحتضر أن ما نزل به نذير الفراق من الدنيا والمال والأهل والولد ، وسمى هذا اليقين ظنّا لأن المرء مادامت روحه معلقة ببدنه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه العاجلة كما قال : (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ) فلا يحصل له يقين الموت ، بل الظن الغالب مع رجاء الحياة(١).

← اللطيفة الثانية:- عن سر تقديم (إلى ربك) على (يومئذ) قدم لأنه هو المهم لأنه جهة المساق ومنتهاه ومستقره(٢).

← اللطيفة الثانية:- عن سر التكرار في قوله {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}

قال الكرماني – رحمه الله: "فإن قوله:" أَوْلَى "تامٌّ في الذمِّ، بدليل قوله:" فَأَوْلَى لَهُمْ "(محمد: ٢٠)، فإن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أنه للتهديد؛ وإنما كرَّرها؛ لأن المعنى: أولى لك الموت، فأولى لك العذاب في القبر، ثم أولى لك أهوال يوم القيامة، وأولى لك عذاب النار، نعوذ بالله من شرها(٣).

---

(١) ينظر: تفسير الرازى ٧٣٥/٣٠، تفسير المراغى ١٥٥/٢٩.
(٢) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل لفاضل السامرائى ٢٣٣/١.
(٣) ينظر: أسرار التكرار ٢١٢/١، بصائر ذوى التمييز ٣٣٤/١.

المطلب التاسع : المعنى الإجمالى

"كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ"

تهديد عقب تهديد ووعيد بعد وعيد فبعد أن ذكر-سبحانه- حديث يوم القيامة ، الذي لا يصدّق به المشركون، عرض لهذا المشهد الذي يراه الناس بأعينهم فى الحياة الدنيا ، وهو مشهد الموت ، وذكرهم بأحوالهم الأليمة عند ما يودعون هذه الدنيا فقال : كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ وَقِيلَ مَنْ راقٍ"

وفي هذا الوقت العصيب على المحتضر يبحث من حوله عن راقٍ يرقيه أو طبيب يشفيه ، ولكن بلا نفع أو فائدة لأن الموت قد حضر وظهرت علاماته ، والروح تفارق الجسد واجتمعت الشدائد وعظم الأمر وصعب الكرب، عندئذ يتيقن الجميع أنه الفراق والرجوع إلى الخالق سبحانه حتى يجازيه بأعماله، ويقرره بفعاله. وعندئذ لن يجد له ما ينجيه من الأعمال الصالحة ، فلم يصدق بالقرآن أو بما جاء به النبي ﷺ بل أهمل الاستعداد للآخرة ولم يعبأ بدعوة الرسول ﷺ وذهب إلى أهله مزهوًا بنفسه غير مفكر في مصيره، فهدده الله وكرر التهديد لمزيد التأكيد والتخويف لهذا المكذب المتكبر.

المطلب العاشر : ما ترشد إليه الآيات

١- حقيقة الموت قاسية رهيبة تواجه كلَّ حي فلا يملك لها ردًا وهي تتكرر في كل لحظة، والكل أمامها سواء لا حيلة لهم في دفعها مما يلمح إلى أنَّه لا مفر من الاستسلام لها والإيمان بها. وترك الجحود والخيلاء والإعراض عن جانب الله.

٢- مشروعية الرقية بالقرآن والسنة و الأذكار المشروعة .

٣- يكون المرجع والمآب إلى حكم اللّه، إما إلى الجنة وإما إلى النار.

٤- دلت الآية على أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة، كما يستحقهما بترك الإيمان [١].

٥- التحذير من الغفلة والاغترار والعجب والخيلاء ومِشْيَة المُطَيْطَاء ، وقد حذرنا النبى ﷺ من ذلك "إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ ، وَخَدَمَتْهُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، سُلِّطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ"[٢].

(١) ينظر: تفسير الرازى ٧٣٦/٣٠، تفسير القاسمى ٣٧٠/٩.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى في سننه / كتاب الفتن / باب ٧٤ /ج ٤ / ص٥٢٦ /رقم٢٢٦١ وقال حديث غريب، وابن حبان في صحيحه ١١٢/١٥.

المبحث الخامس

إثبات البعث وتقريره بالأدلة والبراهين

أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠){القيامة ٢٦-٣٥}

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

لما ذكر سبحانه في أول السورة قوله {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ} [القيامة-٣] أعاد في آخر السورة ذلك وذكر في صحة البعث والقيامة دليلين

الأول قوله: {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى}[القيامة-٣٦] وتقريره أن إعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والأمر بالطاعة والنهي عن المفاسد يقتضي كونه تعالى راضياً بقبائح الأفعال وذلك لا يليق بحكمته فإذاً لا بد من التكليف ، والتكليف لا يحسن ولا يليق بالكريم الرحيم إلا إذا كان هناك دار الثواب والبعث والقيامة.

الدليل الثاني: على صحة القول بالحشر الاستدلال بالخلقة الأولى على الإعادة وهو المراد من قوله تعالى {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى}[1].

(١) ينظر: تفسير الرازى٣٠/٢٠٧.

المطلب الثانى : المفردات اللغوية

"أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى"

يقال سَدِيَتِ الأرضُ، إذا كثُر نداها، من السماء كان أو من الأرض، فهي سَدِيَةٌ. ويقال: طلبتُ أمراً فأسْدَيْتُهُ، أي أصبته. والسُدى بالضم: المُهْمَلُ. يقال: إبلٌ سُدىً، أي مُهْمَلَة. وبعضهم يقول سَدىً بالفتح. وأَسْدَيْتُها، أي أهملتها. وتَسَدَّاهُ، أي عَلاهُ وركِبه ويقال سدى للواحد والجمع [١].

"أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى"

النُّطْفَةُ : الماءُ الصافي ، ويُعَبَّرُ بها عن ماء الرَّجُل. قال تعالى : ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ [المؤمنون / ١٣] ، وقال : مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ[الإنسان / ٢] ، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى [القيامة / ٣٧] ويُكَنَّى عن اللُّؤْلُؤَةِ بالنَّطَفَة ، ومنه : صَبِيٌّ مُنَطَّفٌ : إذا كان في أُذُنِهِ لُؤْلُؤَةٌ ، والنَّطَفُ : اللُّؤْلُؤ. الواحدةُ : نُطْفَةٌ ،ونَطَفانُ الماءِ ونَطْفَه: سَيَلانُه. وليلةٌ نَطُوفٌ: تُمْطِر حتى الصَّباح[٢].

المَنَى : التّقدير. يقال : مَنَى لك الماني ، أي : قدّر لك المقدّر ، والمَنِيُّ للذي قدّر به الحيوانات. قال تعالى : أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى[القيامة / ٣٧] ، مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى[النجم / ٤٦] أي : تقدّر بالعزّة الإلهية ما لم يكن منه ، وجمعه : مَنَايا ،والمنيُّ: ما يخرج عن الجماع من الماء الدافق[٣].

---

(١) ينظر: الصحاح للجوهرى ٣١١/١، تاج العروس ٢٥٦/٣٨.
(٢) ينظر: المفردات للراغب ٨١١/١، بصائر ذوى التمييز ١٤٨٧/١.
(٣) ينظر: المفردات للراغب ٧٧٩/١.

"ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى"

العَلَق محرّكة: الدم الغيظ، وقيل: الدّم الجامد. القطعة منه عَلَقة، قال تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً}التّشبّث بالشّيء ، يقال : عَلِقَ الصّيد في الحبالة ، وأَعْلَقَ الصّائد : إذا علق الصّيد في حبالته ، والمِعْلَقُ والمِعْلَاقُ : ما يُعَلَّقُ به ، وعِلَاقَةُ السّوط كذلك ، وعَلَقُ القربة كذلك ، وعَلَقُ البكرة : آلاتها التي تَتَعَلَّقُ بها ، ومنه : العُلْقَةُ لما يتمسّك به ، وعَلِقَ دم فلان بزيد : إذا كان زيد قاتله ،والعَلَقُ : الدّم الجامد ومنه : العَلَقَةُ التي يكون منها الولد. قال تعالى : خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (١).

"فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى"

والزُّوج يطلق على كلِّ واحد من القرينين من الذكر والأُنثى في الحيوانات المتزاوجة، و[يقال] لكلّ قرينين فيها وفى غيره؛ كالخُفِّ والنَّعل، ولكلِّ ما يقترن بآخر مماثلا له ومضادًّا: زوْج، قال تعالى: {يَآءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}، وزوجة لغة رديئة، والجمع زوجات، وجمع الزَّوج: أَزوج،وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَالْعَامَّةُ تُخْطِئُ فَتَظُنُّ أَنَّ الزَّوْجَ اثْنَانِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ مَذْهَبِ الْعَرَبِ إِذْ كَانُوا لَا يَتَكَلَّمُونَ بِالزَّوْجِ مُوَحَّدًا فِي مِثْلِ قَوْلِهِمْ زَوْجُ حَمَامٍ وَإِنَّمَا يَقُولُونَ زَوْجَانِ مِنْ حَمَامٍ وَزَوْجَانِ مِنْ خِفَافٍ وَلَا يَقُولُونَ لِلْوَاحِدِ مِنْ الطَّيْرِ زَوْجٌ بَلْ لِلذَّكَرِ فَرْدٌ وَلِلْأُنْثَى فَرْدَةٌ (٢).

(١) ينظر: المصباح المنير ٢٥٨/١، بصائر ذوى التمييز ٧٤٩/١.

(٢) ينظر: المفردات للراغب ٧٧٩/١، بصائر ذوى التمييز ١١٣٤/١.

المطلب الثالث : الإعراب

«أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ» الهمزة للاستفهام التقريعيّ ، ومضارع وفاعله

و«أَنْ يُتْرَكَ» مضارع مبني للمجهول منصوب بأن وفاعله مستتر والجملة مستأنفة لا محل لها.

«سُدىً» حال منصوبة من ضمير يترك.

والمصدر المؤول من أن والفعل سد مسد مفعولي يحسب.

و«أَلَمْ يَكُ» الهمزة حرف استفهام ، ولم حرف نفي وقلب وجزم

« يَكُ»فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدّرة على النون المحذوفة للتخفيف.

و«نُطْفَةً» خبر.

و«مِنْ مَنِيٍّ» متعلقان بمحذوف صفة نطفة.

و«يُمْنى » مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر والجملة نعت.

«ثُمَّ كانَ» عطف على ما تقدّم وعطف بثم للتراخي وامتداد المدة لأن بين الخلق الثاني الذي هو خلق النسل وبين الخلق الأول تراخيا وأمدا بعيدا فوجب عطفه بثم ،"كان" فعل ماض ناقص اسمه مستتر.

و«عَلَقَةً» خبر كان والجملة معطوفة على ما قبلها.

و«فَخَلَقَ» ماض فاعله مستتر والجملة معطوفة على ما قبلها،وفاعل (خلق) ضمير يعود على اللّه وكذلك (سوّى) و(جعل)،

«فَسَوَّى» معطوف على فخلق.

و«فَجَعَلَ» ماض فاعله مستتر.

و«مِنْهُ» في موضع المفعول الثاني لجعل.

و«الزَّوْجَيْنِ» مفعول جعل الأول، والجملة معطوفة على ما قبلها .

و«الذَّكَرَ» بدل من الزوجين و«الْأُنْثَى » معطوف على الذكر.

«أَلَيْسَ ذلِكَ» الهمزة حرف استفهام وماض ناقص وذلك اسم ليس أي الفعال.

و «بِقادِرٍ» مجرور لفظا منصوب محلا خبر ليس والجملة مستأنفة.

و «عَلَى » حرف جر و«أَنْ يُحْيِيَ» مضارع منصوب بأن والفاعل مستتر و «الْمَوْتَى » مفعول به والمصدر المؤول من أن والفعل في محل جر بعلى تقديره: على إحيائِهِ الموتى(١).

المطلب الرابع : البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروبًا من البلاغة وأنواعًا من الفصاحة .

←منها: الاستفهام الإنكاري لغرض التوبيخ في قوله: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)}؛ لأنَّ غايته التوبيخ والتقريع(٢).

← ومنها: الاستفهام الإنكاري لغرض التقرير فى قوله: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} والاستفهام إنكار للمنفي إنكار تقرير بالإثبات وهذا غالب استعمال الاستفهام التقريري أن تقع على نفي ما يراد إثباته

(١) ينظر: إعراب القرآن الكريم لقاسم دعاس٣/٤٠٥، الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافى ١٧٩/٢٩، إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين الدرويش ١٠/ ٣٠٧، تفسير الهررى ٤٧٠/٣٠.

(٢) ينظر: تفسير الهررى ٤٧٠/٣٠.

ليكون ذلك كالتوسعة على المقرر إن أراد إنكارا كناية عن ثقة المتكلم بأن المخاطب لا يستطيع الإنكار(١).

← ومنها: المحسن البديعى رد العجز على الصدروقد جاء في هذا الختام ، فإن السورة افتتحت بإنكار أن يحسب المشركون استحالة البعث، ويسلسل الكلام في ذلك بأفانين من الإثبات والتهديد والتشريط والاستدلال(٢).

المطلب الخامس : القراءات

قرا حفص ويعقوب من مني يمنى بالياء على التذكير وقرأ الباقون بالتاء وحجة من قرأ بالياء "يمنى" فللفظ مني ومن قرأ بالتاء فللفظ نطفة(٣).

المطلب السادس : البيان والتفسير

"أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى"

تكرير للإنكار على الكافرين تكذيبهم بالبعث.

والمعنى: أيظنّ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يتعبد بعبادة، مع أنه الْإِنْسَانْ الذي أودع العقل وعلِّم البيان ،

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٤١/٢٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٤١/٢٩. التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها يسمى: ترابط الأطراف، أو: رد العجز على الصدر. وهو: كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالبا أو معنوية نادرا تحصل بها الملائمة والتلاحم بين قسمى كل كلام ينظر: بدائع القرآن المجيد لابن أبى الإصبع ٣٦/٢، الإيضاح للقزوينى ٣٦٠/١، عروس الأفراح٢٩٤/٢، الموسوعة القرآنية ٢٣٠/١،

(٣) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة صـ ٧٣٧، النشر لابن الجزرى ٤٣٤/٢، إتحاف فضلاء للبنا ٥٦٤/١.

وغرز في طبعه أن يعيش مجتمعاً ، وخص من المواهب ما فضل على غيره . فمن تمام الإحسان إليه إنقاذه من حيرته ، وإعلامه بسبيل هدايته ، وأن لا يترك خابطاً في متائه جهالته ، وقد كان ذلك بفضل الله ونعمته .

وقيل : أيحسب أن يترك في قبره كذلك أبدا لا يبعث.

قال ابن كثير –رحمه الله– معقبا على القولين السابقين:

والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة. والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد، ولهذا قال مستدلا على الإعادة بالبداءة فقال.{ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى }(١).

والمراد بالإنسان في الآية: الجنس ، وقيل نزلت في أبي جهل ، ولا يبعد أن يكون سببها خاصاً ومعناها عام(٢).

"أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى"

إنكار بعد إنكار واستئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور في الآية السابقة فإن مداره: لما كان استبعادهم للإعادة والبعث دفع ذلك ورد عليه ببدءِ الخلق وكيفية النشأة الأُولى فقال: (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى)

والمعنى: ألم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة. وأشار بكلمة "يمنى " إلى حقارة حاله ، كأنه قيل : إنه مخلوق من المني الذي جرى

(١) ينظر: تفسير الطبرى ٨٢/٢٤، تفسير ابن كثير ٢٨٣/٨. تفسير القرطبى١١٧/١٩ ، تفسير القاسمى ٣٧١/٩، التحرير والتنوير٣٣٧/٢٩.

(٢) ينظر: تفسير ابن جزى ٢٥٢٠/١، التحرير والتنوير٣٣٧/٢٩.

على مخرج النجاسة ، فلا يليق بمثل هذا الشيء أن يتمرد عن طاعة اللّـه تعالى إلا أنه عبر عن هذا المعنى ، على سبيل الرمز[١].

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب –رحمه الله:

هذا الإنسان الذي ينكر البعث ، ويستبعده على قدرة اللّه ــ ألا ينظر إلى أثر هذه القدرة فيه ؟ ثم ألا يدرس مسيرة حياته ، ليعلم من أين بدأ ؟

وكيف صار ؟ وإلى أين انتهى ؟ .

إنه لم يك شيئا أبدا : « أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً » (٦٧ : مريم) ..

ثم إنه كان نطفة من منىّ .. لا تعدو أن تكون أشبه بالمخاط ، تستقذره النفوس وتمتهنه ، كما يقول سبحانه : « أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ» [المرسلات–٢٠] وهو مهين لأنه لا ينتفع به فى أي وجه من وجوه النفع ، إلا إذا امتدت إليه يد القدرة ، فنفخت فيه من روح الحق جل وعلا ..

وفى وصف المنى بأنه « يُمْنى » ــ إشارة إلى أنه لا يكون قابلا للإخصاب حتى يمنى ، أي يخرج من صلب الرجل ، بعد أن ينضج ، ويصبح صالحا للقذف به فى رحم الأنثى[٢].

---

(١) ينظر: تفسير البغوى ٢٨٧/٨، تفسير القرطبى١١٧/١٩، تفسير ابن كثير ٢٨٣/٨، تفسير الماوردى ١٦٠/٦.

(٢) ينظر: التفسير القرآنى للقرآن ١٣٤٥/١٥.

"ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى"

أى بعد وضع النطفة في الرحم صيره الله دما متجمدا علقة ثم مضغة، ثم شُكّل ونفخ فيه الروح، فصار خلقا آخر سَوِيًا سليم الأعضاء، ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره؛ والآية تحتمل وجهين:

←أحدهما : خلق من الأرحام قبل الولادة وسوي بعدها عند استكمال القوة وتمام الحركة .

←الثاني : خلق الأجسام وسواها للأفعال ، فجعل لكل جارحة عملاً .

وفاعل خلق في الآية هو الله –عز وجل– ولم يذكرفى الآية لأنه أوضح من أن يذكر لأنه لا خالق سواه ولا معبود بحق إلاه،لا يشاركه أحد فى هذا الفعل ، فحيث ذكر الخلق كان فاعله هو اللّه سبحانه : « أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » [الأعراف–٥٤](١).

"فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى"

أى خلق بقدرته من مائه ذكورا وإناثًا لبقاء نوعه ، يعمر الدنيا إلى الأجل الذي كتبه وقدره .

"أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى"

استفهام يراد به التقرير والاحتجاج عليهم والمعنى:

أليس الَّذي خلقَ الإنسانَ مِن المنِيِّ ، ونَقَلَهُ من تلك الأحوالِ إلى هذه الحالةِ قادرٌ على أن يُحييَ الموتَى، فمَن قَدَرَ على الابتداءِ ، كان على البعثِ

(١) ينظر: تفسير البغوى ١٨٧/٨، تفسير القرطبى١١٧/١٩، تفسير الرازى ٧٣٧/٣٠، تفسير أبى السعود ٤٠٨/٦، التحرير والتنوير٣٣٧/٢٩.

أقدرَ بعدَ الموتِ ، دلَّهم اللهُ تعالى على البعثِ بابتداء الخلق. فهذه الجملة "أَلَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى" بمثابة النتيجة بعد المقدمات والأدلة.

وأخرج أبو داود والترمذي وأحمد، والحاكم وصححه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) فَانْتَهَى إِلَى آخِرِهَا (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) فَلْيَقُلْ بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَمَنْ قَرَأَ (لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) فَانْتَهَى إِلَى (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِىَ الْمَوْتَى) فَلْيَقُلْ بَلَى وَمَنْ قَرَأَ (وَالْمُرْسَلاَتِ) فَبَلَغَ (فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) فَلْيَقُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ»[1].

المطلب السابع : المعنى الإجمالى

يختم المولى تبارك وتعالى السورة الكريمة بالإشارة إلى الحكمة من البعث والجزاء ، فقال : أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً. أيظن ذلك الجاهل المغرور أن سيترك هملا لا يكلف ولا يجازى ثم بَيَّن جانبًا من مظاهر قدرته، وهى النشأة الأولى وأصل خلق الإنسان من نطفة مذرة، وهذا دليل حسى على إمكانية البعث ووقوعه فالذى قدر على البدء أقدر على الإعادة سبحانه– جل وعلا.

---

(١) الحديث أخرجه أو داود في سننه / كتاب الصلاة / باب مقدار الركوع والسجود / ج ١/ص٣٣١ /رقم ٨٨٧، واللفظ له، الترمذى في سننه / كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى { لا تحرك به لسانك }/ج٥/ ص٤٤٣ / رقم٣٣٤٧، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٤٩، والحاكم في مستدركه في صحيحه/ كتاب التفسير / باب تفسير سورة القيامة / ج٢ /ص ٥٥٤/ رقم٣٨٨٢. وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

المطلب الثامن : ما ترشد إليه الآيات

١- الله عز وجل لم يخلق الإنسان عبثا فقدومه إلى الحياة جاء بقضاء وقدر وحياته ابتلاء واختبار ينتهي إلى حساب وجزاء.

٢- البعث من تمام عناية الله للإنسان ، ومن ألطافه به ، فكما أن من لطفه تعالى رعاية الإنسان منذ أن كان نطفة في بطن أمه حتى صار علقة، فمن عنايته تعالى وتمام رحمته أن جعل دار البقاء لتجزى كل نفس بما عملت.

٣- على من ابتلى بمصيبة الكبر وأصيب بداء العُجْب أن يتفكر في أصله وفى حاله، حين كان نطفة في رحم أمه وحين خرج من بطن أمه صفر اليدين لايعلم شيئا، ثم حين حشرجة الصدور وزيارة القبور.

٤- ختم الله –عزوجل- السورة بما بدأ به أولها وهذا التناسب اللطيف والترابط العجيب بين الأطراف يسميه البلاغيون برد العجز على الصدر فقرر في آخرها ما جاء في أولها في قوله: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ} وختم بقوله{ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى }.

٥-مشروعية قول سبحانك اللهم بلى لمن قرأ هذه الآية أو سمعها إماماً كان أو مأموماً وهي { أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } .

الخاتمة

وأخيراً :

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث بالآيات البينات، والخوارق النيرات وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان حتى الممات

وبعد: فأحمد الله – عز وجل – أن وفقنى وأعاننى ويسر لى إتمام هذا البحث ، فإليه يرجع الأمر كله ، وأسأله سبحانه أن يقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم الدين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور/ محمود متولى الميهى

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم جل من أنزله.

١- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبى الحسن البقاعى – ط دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لمحمد بن محمد الغمادى أبو السعود – ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ، ت/ عبد الرزاق المهدى – ط دار إحياء التراث الغربى – بيروت.

٤- الدر المنشور فى التفسير بالمأثور ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى – ط دار الفكر – بيروت ١٩٩٣م.

٥- الإتقان فى علوم القرآن ، لعبد الرحمن جلال ادين السيوطى – ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار التراث – القاهرة.

١٤- التحرير والتنوير ، لمحمد الظاهر بن محمد بن عاشور – ط مؤسسة التاريخ الغربى – بيروت الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٦- البيان فى عدآى القرآن ، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الأموى الدانى ، ت/ غانم قدورى الحمد ، ط مركز المخطوطات والتراث – الكويت – الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٧- الكشف والبيان ، لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى/ الإمام أبى محمد بن عاشور ، ط دار إحياء التراث الغربى – بيروت، الأولى ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف : د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر)

٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، ت/ مروان محمد الشعار – ط دار النفائس – بيروت ٢٠٠٥م.

١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازىالبيضاوى ت/ د/ عبد الحميد مصطفى ، الشيخ / عبد الحميد فرغلى – ط المكتبة القيمة – القاهرة.

١١- روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى ، للإمام محمود الألوسى أبو الفضل ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

١٢- مفردات غريب القرآن ، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، ت/ محمد سيد كيلانى ، ط دار المعرفة – لبنان.

١٣- معانى القرآن ، لأبى زكريا – يحيى بن زياد ، المعروف بالفراء ت/ د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م.

١٤- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقىالمصرى ، ط دار صادر – بيروت.

١٥- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى – ط دار الفكر بيروت ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م.

١٦- اللباب فى علوم الكتاب ، لأبى حفص عمر بن على بن عادل الحنبلى ت/ الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ / على محمد معوض – ط دار الكتب العلمية – بيروت أولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٧- بصائر ذوى التمييز فى لطائف اكتاب العزيز ، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى – ط دار المكتبة العلمية – بيروت.

١٨- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد بن عبد الرازق الحسينى الزبيدى – ط دار الهداية.

١٩- سنن أبى داود ، لسليمان بن الأشعث بن شراد بن عمرو الأزدى أبو داود ، ت/د/ عبدالقادر عبد الجبير ، ط دار الحديث – القاهرة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢٠- الدار المصون فى علم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف بن عبد ادائم المعروف بالسمين الحلبى ت/د/ أحمد محمد الخراط – ط دار القلم – دمشق – الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢١- روح البيان فى تفسير القرآن، لإسماعيل حقى بن مصطفى البروسوى، ط دار إحياء التراث العربى– بيروت.

٢٢- البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ، ط دار الفكر – بيروت ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م.

٢٣- مشكل إعراب القرآن ، د/ أحمد بن محمد اخراط.

٢٤- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى – ط مؤسسة الرسالة – الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٥- الأعلام ، لخير الدين الزركلى – ط دار العلم للملايين – بيروت – السابعه ١٩٨٦م.

٢٦- التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازى ، ت/ سيد عمران ط دار الحديث – القاهرة.

٢٧- إعراب القرآن ، لأبى حعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحـــاس ، ت/د/ زهير غازى زاهد ط عال الكتب – بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

٢٨- الإيضاح فى علوم البلاغة ، للخطيب القزوينى ، ت/ الشيخ / بهيج عزاوى، ط دار إحياء العلوم بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

٢٩- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع ، للسيد أحمد الهاشمى – ط دار الكتب العلمية بيروت – السادسة.

٣٠- البلاغة الواضحة للأستاذين على الجارم ، ومصطفى أمين صـ١٤٦ ط دار المعارف –لبنان.

٣١- المطول فى شرح تلخيص المفتاح ، لسعد الدين مسعود التفتازانى الهروى ، ط المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة.

٣٢- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين بن على بـن علـى السـبكى ، ت/د/ محمود محمد الطناحى ، د/ عبد الفتاح محمد الحلـو – ط مجـد للطباعـة – الثانية ١٤١٣هـ.

٣٣- زاد المسير فى علم التفسير ، لعبد الرحمن على بن محمـد الجـوزى ، ط المكتب الإسلامى – بيروت الثالثة ١٤٠٤هـ.

٣٤- طبقات المفسرين ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، ت/ علـى محمـد عمر ط مكتبة وهبة – الأولى ١٣٩٦هـ.

٣٥- طبقات المفسرين ، محمد بن على بن أحمـد الـداوودى – ط دار الكتـب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣٦- النكت والعيون ، لبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى ، ت / السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٧- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، لعبد لرحمن جلال الدين السيوطى، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – ط المكتبة العصرية – بيروت.

٣٨- تهذيب التهذيب ، لأحمد على بن حجر العسقلانى – ط دار صادر – بيروت.

٣٩- وفيات الأعيان فى أنباء أبناء الزمان ، لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان – ط دار صادر – بيروت.

٤٠- تهذيب الكمال ، ليوسف بن الزكى ، عبد الرحمن أبو الحجاج المزى ، ت/ د/ بشار عواد معروف ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٤١- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي- الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت

٤٢- معجم القراءات القرآنية – الدكتور عبد اللطيف الخطيب – ط دار سعد الدين – دمشق- الأولى سنة ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

٤٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر-لأبي الفتح ضياءالدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي الناشر : المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٩٥، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد

٤٤- جامع البيان فى تأويل آى القرآن ، للإمام محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر ال طبرى ، ت: أحمد محمد شاكر – ط مؤسسة الرسالة – الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٤٥- غاية النهاية فى طبقات القراء ، لمحمد بن محمد بن الجزرى – ط دار الكتب العلمية – بيروت – الثالثة ١٤٠٢هـ .١٩٨٢

٤٦- الجدول في إعراب القرآن-محمود بن عبدالرحيم صافي الناشر : دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق الطبعة : الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٤٧- التبيان فى أقسام القرآن ، لابن القيم الجوزية – ط دار الفكر – بيروت.

٤٨- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لعبد الحى بن العماد الحنبلى – ط دار الفكر – بيروت – الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٤٩- المعجم الوسيط ، تأليف/ إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار – ط دار الدعوة.

٥٠- الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى.

٥١- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن ، لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٥٢- التبيان فى إعراب القرآن ، لمحب الدين عبد الله الحسين بن أبى البقاء العكبرى ، ت/ على محمد البجاوى – ط دار إحياء الكتب العربية.

٥٣- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، ت/ بشار عواد معروف – ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى ١٤٠٤هـ.

٥٤-إعراب القرآن الكريم لقاسم حميدان دعاس الناشر : دار المنيردار الفارابى : دمشق

٥٥- الوجيز فى تفسير القرآن العزيز ، للإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدى.

٥٦- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطى ت/ أنس مهرة ، ط دار الكتب العملية – لبنان – الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٥٧- السبعة فى القراءات ، لأبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادى ، ت/د/ شوقى ضيف ، ط دار المعارف – القاهرة – الثانية ١٤٠٠هـ.

٥٨- البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، للشيخ عبد الفتاح القاضى – ط مكتبة الكليات الأزهرية.

٥٩- النشر فى القراءات العشر ، لمحمد بن محمد بن الجزرى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٠- حجة القراءات ، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ت/ سعيد الأفغانى – ط مؤسسة الرسالة بيروت – الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٦١- المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى ، ت/ مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٦٢- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسننه وأيامه ، المسمى بصحيح البخارى ، لمحمد بن إسماعيل بن المغيرة البخارى – ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٦٣- المفصل في صنعة الإعراب–الزمخشري–الناشر : دار ومكتبة الهلال – بيروت

٦٤- حاشية الشهاب ، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ، لأحمد بن محمد شهاب الدين – ط دار صادر – بيروت.

٦٥- شرح المفصل للنحوى بن علم بن يعيش ، ط دار الطباعة الميرية – مصر.

٦٦- معالم التنزيل ، لمحى السنة ، أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى ، ت/ محمد عبد الله النمر ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع – الرابعة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م

٦٧- الحجة فى القراءات السبع ، للحسين بن أحمد بن خالويه ، ت د/ عبد العال سالم مكرم – ط دار الشروق – بيروت – الرابعة ١٤٠١هـ.

٦٨- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبى البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري تحقيق : إبراهيم عطوه عوض- الناشر : المكتبة العلمية- لاهور- باكستان.

٦٩- بحر العلوم ، لأبى الليث نصر بن محمد السمر قندى ، ت/ د/ محمود مطرحى ، ط دار الفكر – بيروت.

٧٠- السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربينى – ط دار المعرفة – بيروت – الثانية.

٧١- الجامع الصحيح ، المسمى بسنن الترمذى ، لمحمد بن عيسى الترمذى ، ت/ أحمد محمد شاكر – ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

٧٢- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن على الفيومى – ط المكتبة العلمية – بيروت.

٧٣ معجم ألفاظ القرآن ، الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م.

٧٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلى المصرى ، ت/ محمد محى الدين عبد الحميد ، ط دار التراث – القاهرة، العشرون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٧٥- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى ، ت/ عبد الحميد هنداوى ، ط المكتبة التوفيقية – القاهرة.

٧٦- البرهان فى علوم القرآن ، لبدر الدين محمد عبد الله الزركشى ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم – ط دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبى – الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

٧٧- الجامع لأحكام القرآن ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – ط دار الحديث – القاهرة. الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٧٨- إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش دار النشر : دار الإرشاد – سورية

٧٩- التعريفات ، لعلى بن محمد بن على الجرجانى ، ت/ إبراهيم الإبيارى – ط دار الكتاب العربى – بيروت الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٠- التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جزى.

٨١- أساس البلاغة ، لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى – ط دار صادر – بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٨٢- التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المنازى ، ت/د/ محمد رضوان الداية ، ط دار الفكر – دمشق – الأولى ١٤١٠هـ.

٨٣- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصارى ت/د/ مازن المبارك ، ومحمد على حمد الله ، ط دار الفكر – بيروت – السادسة ١٩٨٥م.

٨٤- مشكل إعراب القرآن ، لمكى بن أبى طالب القيسى ، ت/د/ حاتم صالح الضامن ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية – ١٤٠٥هـ.

٨٥- إعراب القرآن ، لابن سيدة.

٨٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى – ط دار الكتاب العربى – بيروت – الرابعة ١٤٠٥هـ.

٨٧- لباب النقول فى أسباب النزول ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطى – ط مكتبة الصفا – القاهرة – الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٨٨- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن على الشوكانى، ط دار الفكر بيروت.

٨٩- مسند أحمد بن حنبل الشيبانى – ط المكتب الإسلامى – بيروت – الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٩٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمى – ط دار الفكر – بيروت ١٤١٢هـ.

٩١- لباب التأويل فى معانى التنزيل ، لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالخازن. تحقيق : د . علي بوملحم ، سنة الطبع : ١٤٢٥. الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

ثبت الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص البحث	٦٥٦١
٢.	Research Summary	٦٥٦٢
٣.	← المقدمة ، وتشتمل على:-	٦٥٦٣
٤.	١- منهج البحث والدراسة.	٦٥٦٦
٥.	٢- خطة البحث والدراسة.	٦٥٦٧
٦.	← التمهيد ، ويشتمل على:-	٦٥٦٩
٧.	أولا: نوع السورة.	٦٥٦٩
٨.	ثانيا: أسماء السورة، وسبب التسمية	٦٥٧٠
٩.	ثالثاً: عدد آيات السورة ، وعدد كلماتها وحروفها	٦٥٧٠
١٠.	رابعاً: ترتيبها في المصحف والنزول	٦٥٧٢
١١.	خامساً: مناسبتها لما قبلها	٦٥٧٢
١٢.	سادساً : ما ورد في فضلها	٦٥٧٤
١٣.	سابعاً: أغراض السورة وما اختصت به	٦٥٧٥
١٤.	← المبحث الأول:- القسم بيوم القيامة وبيان بعض أهوالها وفيه مطالب:	٦٥٧٩
١٥.	المطلب الأول: سبب النزول	٦٥٧٩
١٦.	المطلب الثانى: المفردات اللغوية	٦٥٨٠
١٧.	المطلب الثالث: الإعراب	٦٥٨٩
١٨.	المطلب الرابع: البلاغة	٦٥٩٦
١٩.	المطلب الخامس: القراءات	٦٥٩٩
٢٠.	المطلب السادس: البيان والتفسير	٦٦٠٠
٢١.	المطلب السابع: من لطائف الآيات	٦٦٢١
٢٢.	المطلب الثامن: المعنى الإجمالى للآيات	٦٦٢٢
٢٣.	المطلب التاسع: ما ترشد إليه الآيات	٦٦٢٣

م	الموضـــــــوع	الصفحة
٢٤.	← المبحث الثانى:- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بضبط القرآن وحفظه وفيه مطالب:	٦٦٢٥
٢٥.	المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها	٦٦٢٥
٢٦.	المطلب الثانى: سبب النزول	٦٦٢٧
٢٧.	المطلب الثالث: المفردات اللغوية	٦٦٢٨
٢٨.	المطلب الرابع: الإعراب	٦٦٢٩
٢٩.	المطلب الخامس: البلاغة	٦٦٣١
٣٠.	المطلب السادس: القراءات	٦٦٣٢
٣١.	المطلب السابع: البيان والتفسير	٦٦٣٢
٣٢.	المطلب الثامن: من لطائف الآيات	٦٦٣٥
٣٣.	المطلب التاسع: المعنى الإجمالى للآيات	٦٦٣٧
٣٤.	المطلب العاشر: ما ترشد إليه الآيات	٦٦٣٨
٣٥.	← المبحث الثالث:انقسام الناس في الآخرة لفريقين سعداء وأشقياء وفيه مطالب:-	٦٦٣٩
٣٦.	المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها	٦٦٣٩
٣٧.	المطلب الثانى: المفردات اللغوية	٦٦٣٩
٣٨.	المطلب الثالث: الإعراب	٦٦٤٢
٣٩.	المطلب الرابع: البلاغة	٦٦٤٣
٤٠.	المطلب الخامس: القراءات	٦٦٤٤
٤١.	المطلب السادس: البيان والتفسير	٦٦٤٥
٤٢.	المطلب السابع: من لطائف الآيات	٦٦٥٣
٤٣.	المطلب الثامن: المعنى الإجمالى للآيات	٦٦٥٤
٤٤.	المطلب التاسع: ما ترشد إليه الآيات	٦٦٥٥
٤٥.	← المبحث الرابع: حال المرء وقت الاحتضار وما يلقاه من الشدائد وفيه مطالب:-	٦٦٥٦

م	الموضـــــــوع	الصفحة
٤٦.	المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها	٦٦٥٦
٤٧.	المطلب الثانى: سبب النزول	٦٦٥٧
٤٨.	المطلب الثالث: المفردات اللغوية	٦٦٥٨
٤٩.	المطلب الرابع: الإعراب	٦٦٦١
٥٠.	المطلب الخامس: البلاغة	٦٦٦٤
٥١.	المطلب السادس: القراءات	٦٦٦٦
٥٢.	المطلب السابع: البيان والتفسير	٦٦٦٧
٥٣.	المطلب الثامن: من لطائف الآيات	٦٦٧٧
٥٤.	المطلب التاسع: المعنى الإجمالى للآيات	٦٦٧٨
٥٥.	المطلب العاشر: ما ترشد إليه الآيات	٦٦٧٨
٥٦.	← المبحث الخامس: إثبات البعث وتقريره بالأدلة والبراهين وفيه مطالب:-	٦٦٨٠
٥٧.	المطلب الأول: مناسبة الآيات لما قبلها	٦٦٨٠
٥٨.	المطلب الثانى: المفردات اللغوية	٦٦٨١
٥٩.	المطلب الثالث: الإعراب	٦٦٨٣
٦٠.	المطلب الرابع: البلاغة	٦٦٨٤
٦١.	المطلب الخامس: القراءات	٦٦٨٥
٦٢.	المطلب السادس: البيان والتفسير	٦٦٨٥
٦٣.	المطلب السابع: المعنى الإجمالى للآيات	٦٦٨٩
٦٤.	المطلب الثامن: ما ترشد إليه الآيات	٦٦٩٠
٦٥.	← الخاتمة	٦٦٩١
٦٦.	← ثبت المصادر والمراجع	٦٦٩٢
٦٧.	← ثبت الموضوعات	٦٧٠٢